

## أخلاقيات البيئة وأبعادها الجمالية

### في فلسفة وارويك فوكس

د. أمال رمضان مصطفى محمود

مدرس فلسفة الجمال بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

#### ملخص البحث:

تهتم أخلاقيات البيئة بدراسة القضايا الأخلاقية الناتجة عن تفاعل الإنسان مع عناصر البيئة من حوله؛ لأن سبب الأزمة البيئية التي نعيشها اليوم هي الممارسات الخاطئة التي يقوم بها الإنسان على الأرض، وأن معالجة المشكلات البيئية تحت مصطلح "أخلاقيات البيئة" يدل على أن المشكلة في أساسها مشكلة سلوك ناجم عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة، والهدف من ذلك هو الكشف عن المبادئ الأخلاقية التي ينطلق منها السلوك الإنساني في التعامل مع البيئة، ومن هنا تأتي أهمية دراستنا للفيلسوف الأسترالي "وارويك فوكس" (ولد عام ١٩٥٤م، وما زال حياً)؛ وذلك لرؤيته الفلسفية المتميزة في أخلاقيات البيئة التي أشار إليها بمصطلح الأخلاق العامة؛ لأنها تشمل الحديث عن أخلاق الناس فيما بينهم في البيئة وتفاعل أولئك الأفراد مع عناصر البيئة من حولهم، سواء العناصر الطبيعية مثل: التربة، والأنهار، والبحار، والمحيطات، أم الكائنات الحية، مثل الحيوانات، وكذلك البيئة التي يشيدها الإنسان. ووفقاً لذلك يرتبط مفهومه عن الأخلاق العامة بالحياة اليومية. الأمر الذي يدل على عمق فلسفته البيئية، واختلافها عما أنجزه الفلاسفة السابقون المهتمون بمجال البيئة، مثل: سينجر، وريجان، وغيرهما. وقد

استخدمت في هذا البحث مناهج عدة، هي: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن أخلاقيات البيئة وأبعادها الجمالية في فلسفة وارويك فوكس، وبيان فلسفته البيئية المتمثلة في توضيح أهمية مفهوم الإيكولوجيا العميقة في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، ثم مفهومه عن إيكولوجيا عبر الشخصية، وما الذي دعاه إلى صياغة هذا المصطلح، وكذلك مفهومه عن الأخلاق العامة وأهميتها في الحياة اليومية، ثم بيان أخلاقيات البيئة في مجال فن العمارة أو ما يسميه فوكس البيئة المبنية. كما يسلط هذا البحث الضوء على الأبعاد الجمالية للبيئة، وأخيرًا أخلاقيات البيئة في مجال رعاية الحيوان؛ لأن أخلاقيات البيئة لا تقتصر على حقوق البشر وحياتهم، بل يمتد نطاقها ليشمل الكائنات الحية الأخرى.

**الكلمات المفتاحية:** أخلاقيات البيئة- الإيكولوجيا العميقة- الأخلاق العامة- جماليات البيئة- وارويك فوكس- إيكولوجيا عبر الشخصية- الفلسفة البيئية- المركزية البشرية- النسوية البيئية- المساواتية- مركزية الأرض- مركزية الحياة- البيئة المبنية- فن العمارة- رعاية الحيوان.

## Environmental Ethics and its Aesthetic Dimensions in Warwick Fox's Philosophy

### Abstract:

Environmental Ethics is concerned with studying the ethical issues resulting from human interaction with the elements of the environment around him; because the cause of the environmental crisis that we are experiencing today is the wrong practices that human is doing on Earth, and that addressing environmental problems under the term “Environmental Ethics” indicates that the problem is essentially a behavioral problem resulting from the relationship between human and nature , and the goal of that is to reveal the ethical principles from which human behavior in dealing with the Environment is based. Hence the importance of our study of the Australian philosopher Warwick Fox (born in 1954 AD and still alive); due to his distinguished philosophical vision in Environmental Ethics, which he referred to with the term General Ethics; because it includes talking about people’s ethics among themselves in the Environment and the interaction of those individuals with the elements of the environment around them, whether natural elements such as: soil, rivers, seas, and oceans, or living beings, such as: animals, as well as Built environment. Accordingly, his concept of General Ethics is linked to daily life. This indicates the depth of his Environmental philosophy, and its difference from what was accomplished by previous philosophers interested in the field of the Environment, such as: Singer, Regan, and others. Several methods were used in

this research: Historical method, Analytical method, and Critical method.

This research aims to reveal the Environmental Ethics and its aesthetic dimensions in Warwick Fox's Philosophy, and to explain his environmental philosophy represented in clarifying the importance of the concept of Deep Ecology in the relationship between human and nature, then his concept of Transpersonal ecology, and what prompted him to formulate this term, as well as his concept of General Ethics and its importance in daily life. Then, the statement of environmental ethics in the field of Architecture or what Fox calls the Built Environment. This research also focus on the aesthetic dimensions of the environment, and finally, Environmental Ethics in the field of Animal Welfare; because environmental ethics is not limited to human rights and protection, but its scope extends to include other living beings.

**Keywords:** Environmental Ethics- Deep Ecology- General Ethics- Environmental aesthetics- Warwick Fox- Transpersonal Ecology- Environmental Philosophy- Anthropocentrism- Ecofeminism- Egalitarianism- Ecocentric- Biocentric- Built Environment- Architecture- Animal Welfare.

**مقدمة**

يدور هذا البحث حول موضوع من الموضوعات الرئيسة المثيرة للاهتمام في مجالي فلسفة الأخلاق والاستطيقا، هو الحديث عن أخلاقيات البيئة وأبعادها الجمالية، وهل ترتبط الأخلاق بالاستطيقا؟

ونركز في هذا البحث على فيلسوف أسترالي له أهمية واضحة في مجال الدراسات البيئية، هو (وارويك فوكس) Warwick Fox الذي تتمثل أهميته في أنه ابتكر مصطلحات في مجال فلسفة البيئة، منها: (ايكولوجيا ما وراء الشخصية)، وبيانه لبعض المفاهيم الغامضة في البحث الفلسفي، مثل: مفهوم الأخلاق العامة، كما أنه يعد أول من لفت الانتباه لمجال البيئة المبنية، والاهتمام بأبعادها الأخلاقية والجمالية، فضلاً عن اهتمامه بمجال الحياة اليومية ومشكلاتها البيئية المختلفة، الأمر الذي يدل على إسهاماته في مجال الفلسفة التطبيقية، ودوره في معالجة كثير من المشكلات المثيرة للجدل، التي تتعلق بالأفراد، والحيوانات، والمباني، مما يدل على رؤيته الفلسفية العميقة.

وتكمن أهمية هذا البحث، في الكشف عن مفهوم أخلاقيات البيئة وأبعادها الجمالية عند وارويك فوكس، خاصة أننا لم نجد دراسات تناولت هذا الفيلسوف على الرغم من أهميته الواضحة في مجال فلسفة البيئة؛ لذا تعد هذه الدراسة الراهنة من أولى الدراسات العربية في هذا الموضوع. ولعل من أسباب اختياريّ البحث في هذا الموضوع على وجه التحديد، توجيه الانتباه إلى محور مهم للغاية في مجالي فلسفتي الأخلاق والجمال، وهو البحث عن سبل أفضل للعيش في البيئة، ووضع حلول لبعض مشكلاتها.

والإشكالية التي انطلقت منها في هذا البحث، تتمحور حول: كيف وضح وارويك فوكس أخلاقيات البيئة من منظور جمالي؟، ونبعت من هذا تساؤلات

حاولنا الإجابة عنها عن طريق هذا البحث، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

س ١: ما الذي دعا وارويك فوكس إلى صياغة مصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية بدلاً من الإيكولوجيا العميقة؟، وهل يخدم هذا المصطلح هدف التنمية البيئية؟

س ٢: لماذا اهتم وارويك فوكس بالبحث في مجال أخلاقيات البيئة؟، وإلى أي مدى يمكن وصف إسهاماته في هذا المجال بالرؤية الجديدة؟

س ٣: هل يمكن وصف أخلاقيات البيئة عند وارويك فوكس بالأخلاق العامة؟

س ٤: ما سبب اهتمام فوكس بالبيئة المبنية؟، وهل يمكن عده أول من اهتم بهذا المجال؟

س ٥: هل لأخلاقيات البيئة سمات جمالية يجب أخذها في الحسبان من منظور وارويك فوكس؟

س ٦: إلى أي مدى اختلف فوكس في سياق اهتمامه بمجال رعاية الحيوان عن الفلاسفة السابقين؟

أما المناهج المتبعة في هذا البحث، فهي على النحو الآتي: المنهج التاريخي؛ في توضيح الجذور التاريخية لمصطلح أخلاقيات البيئة، والمنهج التحليلي الذي يتضح عن طريق تحليل مصادر وارويك فوكس؛ من أجل بيان آرائه الأخلاقية والجمالية المتعلقة بالبيئة، فضلاً عن تفسير المصطلحات التي أدخلها في مجال الدراسات البيئية، مثل: إيكولوجيا ما وراء الشخصية، والأخلاق العامة. وأخيراً المنهج النقدي، وذلك ببيان موقفه النقدي من بعض المشكلات البيئية، ومن الإيكولوجيا العميقة.

واشتمل هذا البحث على مقدمة، وستة محاور رئيسة، وخاتمة، وأهم التوصيات، بالإضافة إلى ثبت المصادر والمراجع، وفي المقدمة التعريف بهذا البحث، وأهميته، والدوافع إلى اختياره، والإشكالية التي انطلقت منها، وأهم التساؤلات، والمنهج المستخدم. وكانت عناصر هذا البحث على النحو الآتي:

أولاً- فلسفة وارويك فوكس البيئية:

(١) الأبعاد الأخلاقية للإيكولوجيا العميقة.

(٢) إيكولوجيا عبر الشخصية والتنمية البيئية.

ثانياً- ماهية أخلاقيات البيئة.

ثالثاً- مفهوم الأخلاق العامة، وأهميته في الحياة اليومية.

رابعاً- أخلاقيات البيئة وفن العمارة (البناء).

خامساً- جماليات البيئة في إطار النهج الأخلاقي عند وارويك فوكس.

سادساً- أخلاقيات البيئة ورعاية الحيوان.

سابعاً- نتائج البحث، وفيها محاولة للإجابة عن الأسئلة الستة التي وردت في المقدمة.

ثامناً- توصيات البحث، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

## أولاً- فلسفة وارويك فوكس البيئية:

قبل بيان ماهية أخلاقيات البيئة، ومصطلح الأخلاق العامة وأهميته في الحياة اليومية، نوضح جانباً مهماً من فلسفة البيئة عند وارويك فوكس<sup>(١)</sup>، هو الأبعاد

---

(١) وارويك فوكس Warwick Fox: فيلسوف أسترالي (ولد عام ١٩٥٤م، وما زال حياً)، وهو أحد أعضاء هيئة التدريس في مركز الأخلاقيات المهنية بجامعة سنترال لانكشاير University of Central Lancashire بالمملكة المتحدة، وله مقالات عدة عن الإيكولوجيا العميقة، فضلاً عن مؤلفه: (نحو إيكولوجيا عبر الشخصية) Toward a Transpersonal Ecology عام ١٩٩٠م، ولديه اهتمامات بحثية واسعة في مجال الأخلاق، ومجال الاستشارة الفلسفية.

- (CP: Witoszek, Nina & Brennan, Andrew (Eds.) (1999). Philosophical Dialogues "Arne Naess and the Progress of Ecophilosophy, New York & Oxford: Rowman & Littlefield Publishers, Inc., P. 489). &

الأخلاقية لمصطلح الإيكولوجيا العميقة، والداعي إلى وضعه مصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية.

وعند الكلام عن فلسفة وارويك فوكس من المهم أن ندرس السياق التاريخي والفلسفي الذي نشأت فيه؛ فلقد صاغ فوكس نظرياته لتكون جزءًا من حوار نقدي حول الإيكولوجيا العميقة<sup>(٢)</sup>، وخاصة كتابات أرني نيس (فيلسوف نرويجي، ١٩١٢ - ٢٠٠٩م). وتطورت الإيكولوجيا العميقة في خضم حركة واسعة في الفلسفة البيئية ونهج فلسفي بيئي<sup>(٣)</sup>. ولتحديد موقع فوكس بدقة، نفحص إسهامات الفلسفة الإنسانية وعلم النفس عبر الشخصية من منظوره، قائلين إن أغلب الفلاسفة في مجال أخلاقيات الطبيعة الحديثة شغلوا بالبحث في المبادئ المجردة، والقواعد العالمية التي تحكم سلوك الإنسان تجاه العالم الطبيعي. لكن في سبعينيات القرن العشرين، سلك عدد من منظري الطبيعة مسلكًا مختلفًا، وعكست

---

(Norton, Bryan G. (1991). *Toward Unity among Environmentalists*, New York: Oxford University Press, P. 222).

<sup>(٢)</sup> الإيكولوجيا العميقة Deep Ecology: مصطلح صاغه أرني نيس في مقاله باللغة الإنجليزية عام ١٩٧٣م الذي بعنوان (حركة الإيكولوجيا الضحلة والعميقة طويلة المدى). ويعني نيس بـ (حركة الإيكولوجيا) علم الكوزمولوجيا أو النظرة العالمية، وقد انتقد الحضارة الأوروبية وأمريكا الشمالية بسبب غطرستها في استغلال الطبيعة غير البشرية فيما يعرف بمركزية الإنسان. ويشترك أتباع حركة الإيكولوجيا العميقة في عدائهم لنظام مركزية الإنسان، وأنهم يرون أن الفلسفة البيئية يجب أن تعترف بالقيم المتأصلة في الطبيعة بشكل موضوعي ومستقل عن رغبات الإنسان واحتياجاته.

- (CP: Keller, David R. (2009). "Deep Ecology", in: J. Baird Callicott & Robert Frodeman (Eds.). *Encyclopedia of Environmental Ethics and Philosophy*, Vol. 1, New York & San Francisco & London: Gale Cengage Learning, P. 206).

<sup>(٣)</sup> Kheel, Marti (2008). *Nature Ethics "An Ecofeminist Perspective"*, New York: Rowman & Littlefield Publishers, Inc., P. 164.



كتابات منظري الإيكولوجيا العميقة والنسويات البيئات وغيرهم من علماء البيئة الراديكاليين في أواخر القرن العشرين، هذا التوجه الجديد. وأطلق على هذا المجال من البحث اسم (الفلسفة البيئية) التي تعرف بأنها دراسة المشكلات المشتركة بين علمي البيئة والفلسفة، وبشكل أكثر تحديداً، يزعم بيل ديفال (Bill Devall) (عالم اجتماع أمريكي، ١٩٣٨ - ٢٠٠٩م) أن الفلسفة البيئية تسعى إلى ميتافيزيقا جديدة ونظرية معرفة وأخلاق بيئية للإنسان والكوكب<sup>(٤)</sup>.

### (١) الأبعاد الأخلاقية للإيكولوجيا العميقة:

شاعت الإيكولوجيا العميقة - بوصفها فلسفة واتجاهاً - وانتشرت بطرق عدة؛ ففي الثمانينيات وأوائل التسعينيات، نشر بيل ديفال وجورج سيشنز George Sessions (فيلسوف أمريكي، ١٩٣٨ - ٢٠١٦م) كتابهما الذي بعنوان (الإيكولوجيا العميقة)، وكذلك نشر وارويك فوكس كتابه (نحو إيكولوجيا عبر الشخصية) Toward Transpersonal Ecology، الذي ربط فيه الإيكولوجيا العميقة بعلم نفس عبر الشخصية Transpersonal Psychology، مما أدى إلى تعزيز وتطوير ما يسمى الآن بـ (علم النفس البيئي)<sup>(٥)</sup> Ecopsychology.

<sup>(٤)</sup> Kheel, Marti (2008). Nature Ethics "An Ecofeminist Perspective", OP. Cit, P. 164.

<sup>(٥)</sup> علم النفس البيئي Ecopsychology: مجال متنوع ملتزم بوضع علم النفس البشري في سياق بيئي. والفكرة الرئيسة وراء علم النفس البيئي هي أن العقل البشري لا يقف منفصلاً كلياً عن العالم الطبيعي، بل هو متجذر فيه ومتشابك معه؛ فالنفس البشرية ظاهرة من ظواهر الطبيعة، وفي هذا الصدد نجد علم النفس الحديث يسيء فهم العقل البشري عن طريق تجاهله العالم الطبيعي، ويؤدي إلى حالة من الغربة أو الانفصال المدمرة للإنسان عن موطنه الرئيس (الأرض). بينما سعى علم النفس البيئي إلى عكس ذلك، عن طريق توسيع نطاق اهتمام علم النفس ليشمل العلاقة بين الإنسان والطبيعة. وعادة ما يوصف علم النفس البيئي بأنه مجال ناشئ، لم يُسمَّ بهذا الاسم إلا مؤخراً، إلا أن هذا لا يعني أن

كما ترجم ديفيد روتنبرغ David Rothenberg (سياسي كندي، ١٩٣٠-  
٢٠٢٢م) وحرر كتاب أرني نيس (الإيكولوجيا والمجتمع ونمط الحياة)<sup>(٦)</sup>، وأشار  
مايكل إي. زيمرمان Michael E. Zimmerman (فيلسوف أمريكي، ولد عام  
١٩٤٦م ومازال حيًا)، إلى مارتن هايدجر على أنه رائد علم البيئة العميقة<sup>(٧)</sup>، مما  
ساعد على ظهور حركة وتوجه يدعو المفكرين الأوروبيين المعاصرين إلى نظرة

موضوع علم النفس البيئي جديد تمامًا؛ إذ نجد الكثير من الإشارات إلى العلاقة بين

الإنسان والطبيعة في مجموعة واسعة من المصادر منذ جان جاك روسو.

- (CP: Fisher, Andy (2005). "Ecopsychology", in: Bron R. Taylor & Others (Eds.).The Encyclopedia of Religion and Nature, London & New York: Thoemmes Continuum, P. 558).

(6) Taylor, Bron (2005): "Deep Ecology", in: Bron R. Taylor & Others (Eds.).The Encyclopedia of Religion and Nature, OP. Cit, P. 457.

(7) ضم بعض علماء البيئة العميقة الذين تأثروا بمقالات "زيمرمان" هايدجر إلى قائمة أسلافهم

الفلسفيين، فقد أشار بيل ديفال، وجورج سيشنز-على سبيل المثال- إلى أن هايدجر قدم  
ثلاثة إسهامات في سياق البيئة العميقة: أولاً- قدم نقدًا واتهامًا رئيسين لتطور الفلسفة  
الغربية منذ أفلاطون، وخلص إلى أنه بمثابة تطور للمركزية البشرية مما مهد الطريق  
للعقلانية التكنوقراطية التي تؤيد الهيمنة على الطبيعة، وثانيًا- شجع على "التفكير" في  
البيئة، وثالثًا- دعوة هايدجر إلى الوجود على هذه الأرض بشكل حقيقي، وفي هذا الصدد  
ينتقد علماء البيئة العميقة الافتراضات الميتافيزيقية المسؤولة عن الدمار البيئي، ويزعمون  
أن الوعي المتغير بما "تكون" البشرية والطبيعة من شأنه أن يؤدي تلقائيًا إلى تحول  
المجتمع. وعلى هذا فإن حل الأزمة البيئية ينطوي على تحول وجودي، من فهم ثنائي  
ومركزي بشري ونفعي يركز على الإنسان إلى فهم يترك الأشياء كما هي، أي يكشف عن  
أشياء أخرى ليست مجرد مواد خام لأغراض إنسانية. ومن المفترض أن تطور البشرية  
بشكل غير متمركز على الإنسان، يظهر مدى الاحترام والرعاية للكائنات جميعها.

- (CP: Zimmerman, Michael E. (1993). "Rethinking the Heidegger-  
Deep Ecology Relationship", in: Environment Ethics, January, PP.  
195- 196).

ثاقبة إلى القضايا البيئية. ومع ذلك اشتكى عدد من علماء البيئة العميقة- أمثال: فوكس- من أن تفكير ما بعد الحداثة في أوروبا قوض مكانة الطبيعة وكانت قسراً على الجنس البشري وحده<sup>(٨)</sup>.

ولأن استغلال الطبيعة يتم وفقاً لاتجاه نفعي، ينظر إليها نظرة وظيفية لا غير، مع أنه ليست للطبيعة وظيفة متأصلة بل أخلاق متأصلة. علاوة على ذلك، ليست للبشر وظيفة جوهرية أيضاً. إلا أنهم يتحملون مسئولية أخلاقية فيما يخص رعاية الطبيعة والحفاظ عليها. وقد دافع الفيلسوف الأخلاقي وارويك فوكس عن نظرية التماسك المستجيب التي تعطي الأولوية الأخلاقية العليا لاستدامة النظم البيئية وحماية العالم الطبيعي الحيوي<sup>(٩)</sup>.

وفي هذا الصدد ينقد فوكس تلك السطوة على الطبيعة، وأشكال الهيمنة البشرية، ويدعو إلى الوقوف في وجه الهيمنة البشرية على الطبيعة<sup>(١٠)</sup>، ورأى أنه لا فاصل ولا فرق في الواقع بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية؛ لأن هذا الفصل يقف عقبة في سبيل الوصول إلى الوعي البيئي العميق<sup>(١١)</sup>.

ذلك لأن مصطلح الطبيعة- بالمعنى الأوسع له- يشير إلى كل ما هو موجود في الكون، ونحن نتكلم عن البيئة الطبيعية Natural Environment عندما نريد التمييز، أو تسليط الضوء على دور الأنظمة البيئية ذاتية التنظيم في مقابل

(8) Taylor, Bron (2005): "Deep Ecology", in: Bron R. Taylor & Others (Eds.). The Encyclopedia of Religion and Nature, OP. Cit, P. 457.

(9) Klikauer, Thomas (2012). Seven Management Moralities, Palgrave Macmillan, First Published, P. 196.

(10) Plumwood, Val (2003). Feminism and the Mastery of Nature, London & New York: Routledge, PP. 16- 17.

(11) Messersmith- Glavin, Paul (2011): Between Social Ecology and Deep Ecology: Gary Snyder's Ecological Philosophy, The Anarchist Library, PP. 18- 19.

الأنظمة البشرية المنظمة عن قصد في البيئات المبنية. وبهذا المعنى يرى المفكرون المستنبرون أفضل مثال على البيئات الطبيعية، تلك التي تجسد سمة التماسك؛ لأن أي نظام ذاتي التنظيم، يجب أن يجسد السمة الرئيسة للتماسك المستجيب، كما أن جوهر الأنظمة ذاتية التنظيم أنها تحافظ على سلامتها وتماسكها من خلال الاستجابة المتبادلة للسمات المكونة لها<sup>(١٢)</sup>.

ووفقاً لذلك يميز فوكس بين البيئة الطبيعية والبيئة المبنية، بأن الأولى ذاتية التنظيم، أي من صنع الخالق، بينما الثانية منظمة نظمها البشر عن عمد، لكن وفقاً لدعوته إلى وحدة الإنسان مع الطبيعة، لا بد من أن تتوافق البيئة المبنية من حيث التصميم مع البيئة الطبيعية، الأمر الذي يؤدي إلى توازن البيئة، وهذا يدل على ثراء رؤيته البيئية.

وقد نشر فوكس مقالة له بعنوان (الإيكولوجيا العميقة والنسوية البيئية وأوجه تشابههما) عام ١٩٨٩م، وتلاها رد من ديبورا سليسر Deborah Slicer (أستاذة فلسفة بجامعة مونتانا) في عام ١٩٩٥م بعنوان (هل يوجد نقاش حول النسوية البيئية<sup>(١٣)</sup> والإيكولوجيا العميقة؟)<sup>(١٤)</sup>.

(12) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", London & England: The MIT Press, Cambridge & Massachusetts, PP. 98- 99.

(13) النسوية البيئية Ecofeminism: يرى علماء البيئة النسويون أن هيمنة الرجال على النساء تعزز هيمنة المجتمع على البيئة؛ إذ تفترض النسوية البيئية أن عادات التفكير والسلوك الذكورية نفسها التي تقلل من قيمة المرأة وتضطهدها وتستغلها، تفعل ذلك أيضاً في الطبيعة، وهي عمليات هيمنة يعزز بعضها بعضاً، وتتمحور حول ثنائيات متضادة غربية مصطنعة، مثل: (التفوق والدونية، الهيمنة والتبعية، وتشمل الإنسان والطبيعة، والذكر والأنثى، والعقل والجسد، والعقل والعاطفة، والموضوعية والذاتية). وعليه، فإن هذه المتغيرات من النسوية البيئية تشترك في تحديات لهاكل السلطة الأبوية الاستبدادية التي

والسبب في نشره هذه المقالة هو الرد على نقد النسوية البيئية للإيكولوجيا العميقة، وذلك ببيان جوانبها الإيجابية وتأكيدا على المساواة بين الموجودات جميعها.

ويتمثل النقد الإيكولوجي النسوي للإيكولوجيا العميقة، في اهتمامها بمركزية الإنسان، وأن "الإنسان هو غاية الكون القصوى" Anthropocentrism. لكن قبل مناقشة فوكس لهذا النقد الموجه للإيكولوجيا العميقة، -وتركيزها المعيب على المركزية البشرية- من المهم تحديد معاني التركيز الإيجابي والبناء للإيكولوجيا العميقة المتمثل في تأييد موقف المساواة بين الأفراد ليس فقط تجاه أعضاء المحيط البيئي، ولكن أيضًا تجاه الكائنات كلها والعناصر التي في المحيط البيئي<sup>(١٥)</sup>؛ ومن ثم فإن الموقف متسع، يمتد إلى الموجودات كلها، كالأنهار، والظواهر الطبيعية، وحتى الأنظمة الاجتماعية؛ إذ يعامل علماء البيئة العميقة هذه الأشياء كما لو كانت موجودات حية، على أساس من فهم واسع لمعنى الحياة؛ ولهذا نجد لديهم تعبيرات مثل: "دع النهر يعيش"<sup>(١٦)</sup>.

تضطهد المرأة وتستغلها، وتسيء إليها وإلى الطبيعة في سياقات ثقافية وبيئية وسياسية وتاريخية مختلفة.

- (CP: Natadecha- Sponsel, Poranee (2007): "Ecofeminism", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, Los Angeles & London: Sage Publications, PP. 506- 507).

<sup>(14)</sup> Hobgood- Oster, Laura (2005): "Ecofeminism- Historic and International Evolution", in: Bron R. Taylor & Others (Eds.).The Encyclopedia of Religion and Nature, OP. Cit, P. 538.

<sup>(15)</sup> Fox, Warwick (1998). "The Deep Ecology- Ecofeminism Debate and its Parallels", in: Michael E. Zimmerman & Others (Eds.). Environmental Philosophy "From Animal Rights to Radical Ecology", New Jersey: Prentice- Hall, Inc., P. 227.

<sup>(16)</sup> Ibid, P. 228.

ويفند مفهوم المساواة الذي وضعه فوكس في إطار الإيكولوجيا العميقة، يفند القول بالمركزية البشرية؛ لأنه وفقاً له يتسع نطاق المساواة إلى ما هو أبعد من المساواة بين الناس إلى الكائنات الحية الأخرى، بل كل ما في البيئة من الأنهار، والبحار، والظواهر الطبيعية، مما يدل على وفاق الإنسان مع الطبيعة.

وقد أشار علماء البيئة العميقة عموماً إلى هذا التوجه العام، الذي يعرف بـ "المساواتية في الغلاف الحيوي"<sup>(١٧)</sup> (الكائنات الحية وبيئتها) "Biospherical Egalitarianism"، في مقابل التمركز البشري، ومع ذلك، ولأن المقطع "bio" يشير - من الناحية الاشتقاقية- إلى الكائنات الحية، يفترض أحيانا أن اهتمامات الإيكولوجيا العميقة تقتصر على الموجودات الحية، ولتصحيح هذا أشار أرني نيس وجورج سيشنز -اتفاقاً مع ملاحظات وارويك فوكس السابقة- إلى أن إحساسهما بمصطلح الحياة واسع، يشمل الناس والكائنات الأخرى، والموطن أو المسكن"، ويفضل فوكس اتجاه المساواتية الذي يؤيده علماء البيئة العميقة باعتباره إيكولوجياً Ecocentric أكثر منه بيولوجياً Biocentric. ويبدو أن هناك أسباباً أخرى لتفضيل مصطلح Ecocentric لوصف نوع المساواتية التي ينادي بها علماء البيئة العميقة<sup>(١٨)</sup>؛ لأن مصطلح Ecocentric الذي يعني اشتقاقياً

<sup>(١٧)</sup> تقوم فكرة المساواة الحيوية Biospherical Egalitarianism على رفض الفصل بين البشر والطبيعة، وأن للكائنات البيئية جميعها حق متساو في الوجود. وفي هذا الصدد، نجد نيس يقارن رؤيته في الإيكولوجيا العميقة بالحركات البيئية المعاصرة في السبعينيات والثمانينيات، التي اتهمها بأنها لا يعنىها إلا معالجة التلوث واستنزاف الموارد من أجل القطاعات الثرية في البلدان المتقدمة، وبالتالي فهي مركزية للبشر.

(CP: Wittman, Hannah (2007): "Naess, Arne (1912-), in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, P. 1190).

<sup>(١٨)</sup> Fox, Warwick (1998): "The Deep Ecology- Ecofeminism Debate and its Parallels", OP. Cit, PP. 228- 229.

"Oikos" مركزية الأرض، أكثر إفادة من مصطلح Biocentric، الذي يعني من الناحية الاشتقاقية مركزية الحياة، وهذا يتطلب تفسيراً للمعنى الواسع الذي يجب فيه فهم مصطلح الحياة. كذلك يبدو مصطلح Ecocentric أقرب إلى روح الإيكولوجيا العميقة من مصطلح Biocentric؛ لأنه على الرغم من تعبيره الواسع عن الحياة، فإن دافع علماء البيئة العميقة يعتمد أكثر على الإحساس العميق بأن الأرض أو الغلاف البيئي موطن أكثر من القول إن الأرض أو الغلاف البيئي على قيد الحياة بالضرورة<sup>(19)</sup>.

وهنا يعد موقف فوكس بمنزلة دفاعاً عن اتجاه الإيكولوجيا العميقة ضد النقد النسوي البيئي لها؛ إذ إنه أوضح أن الإيكولوجيا العميقة لا ترتبط بمصطلح مركزية الإنسان، بل بمفهوم المساواة بين الكائنات والأشياء كلها التي في العالم، إلا أنه صحح منظور الإيكولوجيا العميقة الذي كان ذا طابع بيولوجي يعني بالمساواة بين الكائنات الحية، فوصفه بأنه يعني مركزية الأرض أكثر من مركزية الحياة، ومن هذا المنطلق أشار فوكس إلى مفهومه إيكولوجيا عبر الشخصية الذي يعبر عن نقد مركزية الإنسان والتركيز على تعامل الفرد مع عناصر البيئة من حوله.

## (٢) إيكولوجيا عبر الشخصية والتنمية البيئية:

بعد أن أوضحنا مفهوم الإيكولوجيا العميقة وأهميته عند وارويك فوكس، ننتقل إلى مفهومه الجديد (إيكولوجيا عبر الشخصية)؛ لنعرف سبب تفضيله لهذا المصطلح، ونتساءل في البداية: ما المقصود بـ "عبر الشخصية"؟

ظهرت دراسات عبر الشخصية في عدد من المجالات، منها: الطب، والتعليم، والأنثروبولوجيا، وغيرها. وتوجد روابط قوية بين علم النفس عبر الشخصية وعلم

(19) Ibid, P. 229.

النفس البيئيّ Ecopsychology والإيكولوجيا العميقة، وتتعلق تجارب عبر الشخصية بالطبيعة، ويعد من الممارسات، منها: أساليب البقاء في البرية، وغيرها من الممارسات التي تتمحور حول الأرض ولها أبعاد ما وراء الشخصية. ولبعض المشتغلين في مجال البيئة منظور ما وراء شخصي؛ إذ روج علماء البيئة العميقة- مثل: أرني نيس، ووارويك فوكس، وجون سيد John Seed (عالم بيئة أسترالي)- وعلماء النفس البيئيّ- مثل: تيودور روزاك (١٩٣٣- ٢٠١١م)- لنوع من السموم الذاتيّ "الذي تتسع فيه هوية الفرد إلى ما هو أبعد من الذات الفردية لتشمل الأرض" أساسًا للعمل البيئيّ. ويعتمد العمل البيئيّ على التضامن والحب والعناية أكثر من الخوف؛ لأن الاتجاه عبر الشخصيّ يؤدي إلى عمل أكثر فاعلية واستدامة<sup>(٢٠)</sup>.

ومن هنا جاء اقتراح وارويك فوكس عام ١٩٩٠م باستبدال مصطلح الإيكولوجيا العميقة بإيكولوجيا عبر الشخصية Transpersonal Ecology، ويشير المصطلح الأخير إلى الارتباط بين علم النفس عبر الشخصية وحركة البيئة المركزية Ecocentric Ecology Movement. هذه التطورات إلى جانب تطورات أخرى عدة- منها التعليم البيئيّ، والنسوية البيئية- مهدت الطريق لظهور حركة علم النفس البيئيّ Ecopsychology الواضحة في أوائل التسعينيات<sup>(٢١)</sup>، وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن المقصود بعلم النفس عبر الشخصية Transpersonal Psychology.

(20) Davis, John (2005): "Transpersonal Psychology", in: Bron R. Taylor & Others (Eds.).The Encyclopedia of Religion and Nature, OP. Cit, P. 1655.

(21) Fisher, Andy (2005): "Ecopsychology", in: Bron R. Taylor & Others (Eds.).The Encyclopedia of Religion and Nature, OP. Cit, PP. 558-559.



ويعبر مصطلح علم النفس عبر الشخصية عن تقابل بين أفكار متباينة في مكوناته اللغوية، هي: علم النفس Psychology، وعلم نفس الشخصية Personal، وعبر الشخصية، علم النفس يركز على فهم الفرد وأساليب التعامل معه، باعتباره حلقة منعزلة من المشاعر والإدراك والسلوك، متجسدة داخل غلاف بيولوجي موحد منفصل عن بيئته، وما يميز الفرد عن غيره، وما يضيف عليه درجة معينة من الاستمرار عبر الزمان والمكان هو الجوانب الشخصية المعتادة التي تحدد الفرد<sup>(٢٢)</sup>، وعلى الرغم من أن دراسة الشخصية من التخصصات الفرعية الرئيسة لعلم النفس، فإن إضافة البادئة "Trans" التي ينظر إليها غالبًا على أنها تعني: (ما هو أبعد من ذلك)، عندما تُضاف إلى مصطلح Personal، توحى بشيء غامض إلى حد ما؛ إذ يرتبط علم النفس عبر الشخصية عادة برفض قيود المنظور الإنساني الذي يركز على الفرد وحسب، وتبني منظور أوسع وأعمق من التركيز على الإنسان، يدمج المرء داخل أكبر جوانب الكون<sup>(٢٣)</sup>.

ورأى وارويك فوكس أن علم النفس عبر الشخصية، يوفر أفضل أساس للمفهوم البيئي العميق. والمعنى الرئيس لـ "الإيكولوجيا العميقة" غامض إلى حد ما من الناحية المفاهيمية؛ ولذلك يجب استبداله بالمصطلح الأكثر دقة (علم البيئة عبر الشخصية) Transpersonal Ecology<sup>(٢٤)</sup>؛ إذ إن مصطلح (عبر الشخصي) مستمد من البحث الحديث في علم النفس، وهو مصطلح أكثر ملائمة؛ لأن المعنى الفلسفي للإيكولوجيا العميقة عند نيس قائم على أساس نفسي<sup>(٢٥)</sup>.

(22) Friedman, Harris L. & Hartelius, Glenn (Eds.). (2013). The Wiley-Blackwell Handbook of Transpersonal Psychology, Oxford: Wiley Blackwell, John Wiley & Sons, Ltd, P. xxiii.

(23) Ibid, PP. xxiii- xxiv.

(24) Kheel, Marti (2008). Nature Ethics "An Ecofeminist Perspective", OP. Cit, P. 174.

(25) Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology

وهنا نتساءل: ما الذي دعا إلى وضع وارويك فوكس مصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية بدلاً من مصطلح الإيكولوجيا العميقة، على الرغم من دفاعه عنه؟ أشار فوكس إلى أن معنى الإيكولوجيا العميقة عند نيس يستند إلى فكرة طرح أسئلة أعمق بشكل تدريجيّ حول العلاقات البيئية، وأن عملية التساؤل العميقة هذه تكشف في النهاية عن افتراضات أساسية هي تلك التي يشار إليها باسم "الأساسيات"، وأن وجهات النظر البيئية العميقة مستمدة من هذه الأساسيات في حين أن وجهات النظر البيئية السطحية (الضحلة) ليست كذلك<sup>(٢٦)</sup>، وعلى هذا الأساس، فإن الإيكولوجيا العميقة تعرف بمصطلحات شكلية مجردة، مثل: "طرح أسئلة أكثر عمقاً" بدلاً من الإشارة إلى محتواها (أي الإجابة عن هذه الأسئلة)، وتترتب على ذلك نتيجتان: أولاً- أن الموقف الإيكولوجي العميق موقف فلسفيّ، على نقيض الموقف الإيكولوجي السطحيّ؛ لأن الموقف الإيكولوجي العميق ينشأ استجابة لأسئلة أعمق من عالم الحياة اليومية والتقنية والعلمية، وهذه الأسئلة بالطبع فلسفية. ثانياً- أن المعنى الاصطلاحيّ المجرّد المتمثل في "طرح أسئلة أكثر عمقاً"، لا يمكنه في حد ذاته ضمان إجابات عن مثل هذه الأسئلة<sup>(٢٧)</sup>.

كما تركز انتقادات فوكس على تسمية "الإيكولوجيا العميقة" لا مضمونها؛ فعلى الرغم من ذبوع هذه التسمية على نطاق واسع في الفلسفة البيئية ولدى المفكرين، فإنها تتسم بالغموض إلى حد ما؛ إذ يبدو الأمر للوهلة الأولى وكأنه دراسة للحياة البحرية القاعية (أعماق المحيط) أو نباتات قاع البحيرات، ولذلك فهو غامض. وعند دمج كلمتين بسيطتين، هما "عميق" و"علم البيئة" لتمثيل مجموعة

Approach to Ecophilosophy, Murdoch University: Submitted in Fulfilment of the Requirements for the Doctor of Philosophy, P. 310.

(26) Ibid, P. 159.

(27) Ibid, P. 162.

من الأفكار الفلسفية ينتج مصطلح يصعب توصيل معناه إلى غير المبتدئين. فضلاً عن ذلك فإن المصطلح يبدو متعالياً، وهذا يتضح عندما نضيف كلمة (عميق) إلى التخصصات الأخرى بخلاف علم البيئة، مثل: علم الأحياء العميقة، والفلسفة العميقة،... وما إلى ذلك<sup>(٢٨)</sup>.

وفي هذا الصدد، نتساءل: أيمن وصف الإيكولوجيا العميقة بالإيجاب أم بالسلب؟، وتتضح الإجابة عن هذا السؤال بعد بيان المبادئ الرئيسة التي تميزها. ميز أرني نيس بين الإيكولوجيا الضحلة Shallow Ecology والإيكولوجيا العميقة، في أن الأولى تتمثل في مكافحة التلوث واستنزاف الموارد والهدف الرئيس منها ضمان صحة الناس ورخائهم في البلدان المتقدمة، أما الإيكولوجيا العميقة فتشير إلى المساواة في المجال الحيوي؛ إذ إن الحق المتساوي في الحياة والازدهار من البديهيات الواضحة، لكن عند تقييدها بالإنسان يعد مركزية بشرية ذات آثار سلبية على رفاهية حياة البشر أنفسهم وجودتها. وتعتمد هذه الجودة جزئياً على المتعة والرضا العميقين اللذين نتلقاهما من الشراكة الوثيقة مع أشكال الحياة الأخرى. بعد أن أدت محاولة تجاهل اعتمادنا على أشكال الحياة الأخرى، وترسيخ دور السيد والعبد إلى اغتراب الإنسان عن نفسه<sup>(٢٩)</sup>.

ونستنتج من هذا التمييز الذي أقامه نيس، أنه لا علاقة بين الإيكولوجيا العميقة والمركزية البشرية، بينما ترتبط الإيكولوجيا الضحلة بها؛ لاقتصارها على تحقيق رفاهية الأفراد.

(28) Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology Approach to Ecophilosophy, PP. 208- 209.

(29) Naess, Arne (1989). Ecology, Community and Life Style "Outline of Ecosophy", Translated and Revised by: David Rothenberg, New York: Cambridge University Press, P. 28.

وتتمثل مبادئ الإيكولوجيا العميقة على النحو الآتي: أولاً- أن لازدهار الحياة البشرية وغير البشرية على الأرض قيمة جوهرية، وقيمة أشكال الحياة غير البشرية مستقلة عن الفائدة التي تعود بها على الأغراض الإنسانية. ثانياً- أن لثراء أشكال الحياة قيمة في حد ذاته، ويسهم في ازدهار الحياة البشرية وغير البشرية على الأرض. ثالثاً- ليس للإنسان الحق في تقليص هذا الثراء والتنوع إلا لإشباع احتياجاته الحيوية. رابعاً- إن التدخل البشريّ الحالي في العالم غير البشريّ مفرط والوضع يزداد سوءاً. خامساً- ازدهار الحياة والثقافات البشرية يتوافق مع انخفاض واضح في عدد السكان، كما أن ازدهار الحياة غير البشرية يتطلب مثل هذا الانخفاض. سادساً- التغيير الكبير في ظروف الحياة نحو الأفضل يتطلب تغيير السياسات، وهذا يؤثر في البنى الاقتصادية والتكنولوجية والأيدولوجية الأساسية. سابعاً- يتلخص التغيير الأيدولوجي في تقدير جودة الحياة. ثامناً- أن أولئك الذين يؤيدون النقاط السابقة لديهم التزام مباشر أو غير مباشر في محاولة تنفيذ التغييرات الضرورية<sup>(30)</sup>.

الأمر الذي يدل على أن وارويك فوكس لم يرفض الإيكولوجيا العميقة رفضاً مطلقاً، بل إنه دافع عنها وأوضح ما بها من إيجابيات ردّاً على منتقديها أمثال: النسوية البيئية، لكن سبب نقده لها غموض المصطلح إلى حد ما، الأمر الذي دفعه إلى استبداله بمصطلح أوضح هو مصطلح "إيكولوجيا عبر الشخصية".

وربما يمكن القول إن مصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية يشير إلى الاتجاه العابر للشخصية الذي يتجاوز التركيز على مصالح الأفراد واهتماماتهم؛ ويمتد إلى الاهتمام بجوانب البيئة المختلفة، ووفقاً لذلك فإن هذا المصطلح أشد ارتباطاً بالتنمية البيئية؛ لأنه يرتبط بتنمية عناصر البيئة كلها من الأفراد، والحيوانات، والنباتات، والمباني والمنشآت، دون إهمال أي عنصر من هذه العناصر.

<sup>(30)</sup> Naess, Arne (1989). Ecology, Community and Life Style "Outline of Ecosophy", OP. Cit, P. 29.

وهناك نقطتان ينبغي الإشارة إليهما مباشرة فيما يتعلق بتقديم فوكس لمصطلح (عبر الشخصية): أولاً- فيما يتعلق باستخدام البادئة "Trans" في المصطلح "Transpersonal"، نجد أن بعض الذين يسمعون مصطلح (إيكولوجيا عبر الشخصية) لأول مرة لا يدركون سياق هذا المصطلح (وبالتالي المعنى المقصود منه)؛ إذ تفسر البادئة Trans في مصطلح (عبر الشخصية) Transpersonal لتعني (عبر) across، كما في (عبر القارات) Transcontinental، وتعني أيضًا (ما وراء) أو (فوق)، كما في Transcend (تجاوز أو سمو)، وهذه المعاني فيها تجاوز إحساس الفرد بالذات الأناثية وهذا منشأ مصطلح (عبر الشخصية) الذي يمكن أن يشير إلى شيء ما (عبر الأشخاص)، ومن ثم فإن النهج عبر الشخصي في التعامل مع البيئة ليس على وجه التحديد نهجًا متمركزًا حول الإنسان في البيئة، بل بالانفتاح على الوعي البيئي، مع إدراك الذات البيئية<sup>(31)</sup>.

ثانيًا- يشير مصطلح (إيكولوجيا عبر الشخصية) ضمناً إلى علاقته بالتطورات الحديثة في علم النفس التي يشار إليها باسم (علم النفس عبر الشخصي)، التي لا يقصد بها -بأي حال من الأحوال- الإشارة إلى أن التنظير في إيكولوجيا عبر الشخصية ينبغي أن يكون خاضعاً للتنظير في علم نفس عبر الشخصية. بل بالأحرى أن لإيكولوجيا عبر الشخصية علاقة كبيرة بإضفاء الطابع البيئي على علم النفس عبر الشخصي (بقدر ما يتعلق الأمر بإضفاء الطابع النفسي على طرقتنا في التعامل مع القضايا الفلسفية البيئية، وهنا يدرك الأفراد أن التنمية تنطلق على ما يبدو من الاعتماد، إلى الاستقلال، ثم إلى الاعتماد المتبادل)؛ وبالتالي فإن تصور الذات على أنها نظام بيئي موجود داخل نظام بيئي

(31) Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology Approach to Ecophilosophy, OP. Cit, PP. 310- 311.

أكبر يمكن أن يسهل التحول من التفكير في الذات ككيان منفصل ومستقل إلى الاعتراف بكامل كيائها، وهو "الاعتماد المتبادل في المجلد"، وهذه النظرة للذات تتحدى الافتراض القائل إننا لسنا إلا أفرادًا مغتربين ومعزولين في بيئة معادية<sup>(32)</sup>. ويتضح لنا مما سبق، أن نهج فوكس في الإيكولوجيا عبر الشخصية أشد وضوحًا وتميزًا من نهج أرني نيس في الإيكولوجيا العميقة؛ لأسباب منها: بساطة المصطلح ووضوحه لدى فوكس، كذلك ارتباط نهجه بنظريته عن التماسك المستجيب التي تؤكد على الاعتماد المتبادل بين الأفراد وعناصر البيئة كلها، الأمر الذي يؤكد على وحدة الإنسان مع الطبيعة، ألا أن ذلك لا ينفى السمات الإيجابية لرؤية نيس، التي أفاد منها فوكس في فلسفته البيئية.

كما أشار وارويك فوكس في كتابه (إيكولوجيا عبر الشخصية) إلى أن إنقاذ الأرض يمكن أن يتم عن طريق إضفاء طابع نفسي على مشكلة الفلسفة البيئية والاعتراف بقيمة التوسع الذاتي المتسامي والتماهي مع الطبيعة. ويمكن أن يساعد ذلك في تنوير البشر بموقعهم في المجال البيئي، إلا أنه من المؤسف أن نجد ظاهرة تسمى "فجوة المشاركة أو التعاطف"، هي السبب في صعوبة تعاطف البشر مع غيرهم من الكائنات<sup>(33)</sup>، وأحد الحلول لجدوى علم البيئة عبر الشخصية هو الاعتراف بمشكلة فجوة المشاركة والعمل على حلها؛ إذ ينبغي مناقشتها بسبب اللامبالاة المستمرة من جانب البشر فيما يتعلق بجهود الحفاظ على البيئة

(32) Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology Approach to Ecophilosophy, OP. Cit, PP. 312, 315.

(33) Guzman, Veniz Maja V. (2016). The Human Element: Transpersonal Ecology, Empathy Gap, and the Environment", DLSU Innovation and Technology, De La Salle University, Manila, Philippines, November 24 & 25, P. 1.

وحمايتها؛ ولذلك نناقش هنا علم البيئة عبر الشخصية؛ لأنه فكرة نفسية تقوم على التوسع الذاتي المتسامي لاستيعاب المحيط البيئي. ولكي تكون المناقشة مثمرة بشكل أفضل، نستعرض المفهوم الثلاثي الشائع للذات<sup>(34)</sup>.

يتمثل هذا المفهوم الثلاثي للذات على النحو الآتي: أولاً- هناك جانب الرغبة والاندفاع، الذي يشبه مفهوم فرويد عن "الأنا" Id، وهذا النوع من الذات يتضح في علاقة البشر مع البيئة؛ وهو الجانب الذي يهتم بالاستغلال والتوسع، كما أنه يدور حول الرغبة في شيء ما؛ ومن ثم يتعامل مع فكرة الهيمنة البشرية ومحاولة السيادة على الطبيعة. ثانياً- جانب التبرير أو التعقل واتخاذ القرار، الذي يشبه فكرة Ego، وإلى هذا الجانب مرد جهود الحفاظ على البيئة وصيانتها؛ لأنه يعد مركز التحكم فيما يتعلق بالذات، ويعمل الجزء العقلاني بطريقتين: حارساً لصورة الذات، وباحثاً عن الحل الأكفأ لمتطلبات الواقع. والجانب الثالث والأخير هو الجانب المعياري الذي يشبه الأنا الأعلى، ويفترض أن للبيئة قيمتها الجوهرية الخاصة بها. وهذا يعني أن القيام بواجباتنا تجاهها أمر ضروري بغض النظر عن مشاعر المرء<sup>(35)</sup>.

ولا تتعامل إيكولوجيا عبر الشخصية مع المطالب الأخلاقية المعتادة وحسب، بل إنها تتعامل مع النمو الشامل للإنسان، بأن يدرك ذلك الإنسان أنه غير منغلق على نفسه، بل يلزم نفسه بما يلائم واجباته الأخلاقية، بأن يسعى إلى تطوير نفسه مع توسيع حدود أنانيته لاستيعاب الطبيعة، وبذلك ينمو بشكل طبيعي ليحب ويهتم بما هو عليه لا بما هو ملك له<sup>(36)</sup>. والأمور المهم المتعلقة بمناقشة إيكولوجيا عبر

(34) Ibid, P. 1.

(35) Guzman, Veniz Maja V. (2016). "The Human Element: Transpersonal Ecology, Empathy Gap, and the Environment", OP. Cit, PP. 1- 2.

(36) Ibid, P. 2.

الشخصية هو فكرة الوحدة، إلا أن التطابق هنا لا يعادل الهوية؛ فهو يعني وجود شعور مشترك. فمجرد إدراك المرء أنه في وحدة مع المجال البيئي، لا يعني تلقائياً أنه شجرة أو حيوان مثلاً. بل ما يجب أن يدركه البشر هو أن شعورهم بالذات يمكن توسيعه ليشمل المجال البيئي، لكنهم سيكونون مترابطين وحسب، لا متطابقين في جوهر واحد. وهذا يتعارض مع المفهوم الشائع للذات التي تعارض الطبيعة وهو "الإنسان ضد البرية"، إلا أننا نجد- في الواقع- هذا النوع من التفكير هو الذي يلحق الضرر بالطبيعة في نهاية المطاف<sup>(37)</sup>.

وهذه الملاحظات حول العلاقة بين إيكولوجيا عبر الشخصية وعلم النفس عبر الشخصي، تشير إلى شيئين: أولاً- أنه لا سبب واضح يجعل التنظير في علم النفس عبر الشخصي متمركزاً حول الإنسان. وثانياً- ضرورة إضفاء الطابع البيئي على علم نفس عبر الشخصية. فضلاً عن "إضفاء الطابع النفسي" على طرق الإيكولوجيا عبر الشخصية في التعامل مع القضايا الفلسفية الإيكولوجية، فهذا يشير إلى نهج قائم على أساس نفسي في حل المشكلات الفلسفية البيئية، ويثير سؤالاً مثيراً للاهتمام، هو: كيف يمكننا تصور أكثر المناهج المعترف بها على نطاق واسع للفلسفة البيئية بمصطلحات نفسية لا على وجه التحديد أكسيولوجية (أي في نظرية القيمة)<sup>(38)</sup>.

وبذلك يمكن أن نقول إن مصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية يعد سبباً لتحقيق التنمية البيئية؛ لأنه نهج لا يقتصر على الإنسان في البيئة وتلبية حاجاته، بل يهتم بجوانب البيئة كلها على حد سواء، كما يهتم بكيفية إسهام الإنسان في

(37) Ibid, P. 2.

(38) Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology Approach to Ecophilosophy, OP. Cit, PP. 316- 317.



التعامل مع عناصر البيئة كافة من الكائنات والنباتات والمباني؛ من أجل تنميتها، فضلاً عن أن نهج إيكولوجيا عبر الشخصية أكثر اتصافاً بالطابع النفسي. وفيه ربط فوكس مجال فلسفة البيئة بعلم النفس؛ ويقتضي الاعتماد المتبادل بين عناصر البيئة ككل، فيما يعرف بالتماسك المستجيب بدلاً من استقلال كل عنصر عن غيره من الموجودات، الأمر الذي يسهم في تحقيق التنمية البيئية.

### ثانياً- ماهية أخلاقيات البيئة:

بعد أن تكلمنا عن الفلسفة البيئية ذات النطاق الأخلاقي عند فوكس -المتمثلة في حديثه عن الإيكولوجيا العميقة، واهتمامه بمصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية وأثره في تحقيق التنمية البيئية- ننتقل إلى بيان ماهية أخلاقيات البيئة عنده؛ لأن المشكلة في أساسها مشكلة سلوك ناجم عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة، والهدف هو الكشف عن المبادئ الأخلاقية التي ينطلق منها السلوك الإنساني في التعامل مع البيئة. لكن قبل الحديث عن الهدف من الأخلاقيات البيئية عند وارويك فوكس، نشير في البداية إلى نشأة المصطلح، والمقصود به، وكذلك المقصود بعلم البيئة أو الإيكولوجيا Ecology.

علم البيئة هو دراسة الأنماط والعمليات التي تحكم وفرة الكائنات الحية، وتنوعها، وعلاقتها ببيئتها. وتشمل البيئة عوامل غير بيولوجية، مثل: التربة، وطبقات الأرض (الجيولوجيا)، وأشعة الشمس، والمناخ، وغيرها. بالإضافة إلى العوامل الحيوية الناشئة عن الكائنات الحية. ومصطلح علم البيئة مشتق من كلمة Oekologie التي صاغها عالم الأحياء إرنست هيكل Ernst Haeckel (١٩٣٤ - ١٩١٩م) أول مرة عام ١٨٦٦م<sup>(٣٩)</sup>، ويجمع مجال علم البيئة بين

(39) Chowdhury, Rinku Roy (2007). "Ecology", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, P. 516.

معطيات أبحاث متنوعة في التاريخ الطبيعي، والبحوث التجريبية، والدراسة الميدانية؛ من أجل تعزيز فهمنا للعمليات والأنماط التي تحافظ على التنوع البيولوجي. وعلى هذا النحو، تعد الأبحاث والدراسات البيئية عنصراً رئيساً في بيولوجيا حفظ الموارد الطبيعية؛ إذ تهتم بدراسة التنوع البيولوجي وحمايته على مستويات عدة. ثم إنَّ علم البيئة مجال واسع يشمل عددًا من المحاور والأنماط الراسخة المتميزة في البيئة الاستوائية، والبيئة الصحراوية، والبيئة النهرية، والبيئة البحرية، وما إلى ذلك<sup>(٤٠)</sup>.

ولم تظهر القضايا الفلسفية في إطار الأخلاق البيئية، وأخلاق الأفراد فيما بينهم، موضوعاً للنقاش الفلسفي الجاد إلا في العقود الأخيرة، ويثير كل منها قضايا معيارية مهمة، ومع ذلك ليست القضايا المعيارية أخلاقية كلها؛ لأن أسس التفكير العقلاني، وقواعد اللغة، وقواعد الآداب، كلها قضايا معيارية؛ لأنها تثير أسئلة حول ما علينا القيام به، لكن معظمها ليس من القضايا الأخلاقية<sup>(٤١)</sup>؛ إذ لا تشمل القضايا الأخلاقية ما يجب فعله وحسب، بل ما يمكن أن نتحمل مسؤولية فعله أو العقاب على عدم القيام به، فعلى سبيل المثال: قد يشعر المرء بالضيق أو الحرج عندما يكتشف أنه كون اعتقاداً مهماً بناءً على أدلة ضعيفة، أو أنه فشل في إتقان قواعد اللغة التي يرغب في إتقانها، أو أنه تناول طعامه بشوكة خطأ في عشاء رسمي، لكن لن يكون من المعقول الشعور بالخزي لمثل هذه الأمور؛ إذ إن

(40) Chowdhury, Rinku Roy (2007). "Ecology", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, PP. 516- 517.

(41) MacLean, Douglas (2009). "Environmental Ethics and Future Generations", in: Ben A. Minteer (Ed.). Nature in Common? "Environmental Ethics and the Contested Foundations of Environmental Policy", Philadelphia: Temple University Press, P. 120.

اللوم والعقاب والعار يتحقق فقط حينما تكون الأفعال مرتبطة بفشل المسؤولية، ولذلك إذا أهملت البشرية ككل أو أخفقت في الوفاء بمسؤولياتها تجاه الطبيعة، فسيكون الشعور بالخزي هو النتيجة، أي أنه فيما يتعلق بالمسؤوليات البيئية القضايا الأخلاقية هي الأساس<sup>(٤٢)</sup>.

وهذا يعني أن نطاق القضايا المعيارية أوسع من نطاق القضايا الأخلاقية؛ فليست كل القضايا المعيارية أخلاقية، بينما كل القضايا الأخلاقية معيارية. وفي هذا الصدد نجد القضايا البيئية ذات نطاق أخلاقي، وتقرض علينا واجبات نحوها، وهنا نتكلم عن نشأة الأخلاقيات البيئية، التي هي موضوع بحثنا هذا.

ظهرت الأخلاقيات البيئية مجالاً متميزاً للفلسفة في سبعينيات القرن العشرين، ومنذ ذلك الحين اتسع نطاقها بشكل كبير. ويتضمن البحث فيها أموراً عدة، هي: أولاً- التركيز على الأخلاقيات البيئية لا على الفلسفة البيئية بما تشتمل عليه من موضوعات متنوعة، مثل: نظرية المعرفة البيئية، والميتافيزيقا، وغيرها. ثانياً- التركيز على التقاليد السائدة حالياً في الأخلاقيات البيئية في إطار ما يسمى بالتقليد الفلسفي التحليلي، بدلاً من مناقشة النهج الديني للأخلاقيات البيئية، مثل: التقاليد الفلسفية القارية الناشئة عن الفينومينولوجيا، والوجودية. إلا أن هذا لا ينفي أهمية هذه الاتجاهات<sup>(٤٣)</sup>، ومع استمرار تطور الأخلاقيات البيئية في القرن الحادي والعشرين، تنوعت وجهات النظر فيما يتعلق بالمشكلات الرئيسة فيها، وطريقة التعامل مع هذه المشكلات، وكيفية ارتباط النظرية الأخلاقية البيئية بالقضايا البيئية الملحة. ومنذ نشأة مجال الأخلاقيات البيئية وحتى الآن، لم تهتم

(42) Ibid, P. 120.

(43) Palmer, Clare & McShane, Katie & Sandler, Ronald (2014). "Environmental Ethics", Annual Reviews, P. 421.

بما تعنيه القيمة وحسب، بل بما له قيمة بالفعل أيضًا، وبالأثار التي قد تكون لهذه القيم في العلاقات الإنسانية والسلوك البشري. وإذا كانت للبشر أهمية أخلاقية عليا فإن المشكلات الأخلاقية تنشأ حينما تؤثر بعض التصرفات البشرية المتعلقة بالبيئة في الآخرين بالسلب<sup>(٤٤)</sup>.

تهتم الأخلاقيات البيئية إذن بدراسة المسائل الأخلاقية التي تثيرها العلاقات الإنسانية بالبيئة غير البشرية، وتدور هذه المسائل الأخلاقية حول ما علينا القيام به. والمطالب الأخلاقية معيارية أو توجيهية لا وصفية أو تنبؤية. مثال ذلك، أنه عندما نقول: "إنه على الناس تقليل التأثيرات البيئية لأنماط معيشتهم". لا يمكن اختزال المطالب التوجيهية إلى مطالب وصفية حول أفعال الناس ومعتقداتهم أو ادعاءات تنبؤية حول أحداث مستقبلية محتملة. بل هي -بدلاً من ذلك- معيارية، إذ توضح السلوكيات والممارسات والسمات الشخصية التي يجب أن نسعى جاهدين لتحقيقها، حتى لو كان تحقيقها صعباً<sup>(٤٥)</sup>.

وهذا يعني أن الإنسان سبب رئيس في المشكلات البيئية لسلوكه وأفعاله، وانتهاكه حقوق الحيوان، وعدم الحفاظ على الظواهر الطبيعية، وتلويثه الهواء، ثم تصميم المباني والمنشآت بشكل غير ملائم للبيئة، وهذه الأفعال كلها تؤثر سلبيًا عليها.

من الأمور الرئيسية في مجال الأخلاقيات البيئية إذن مناقشة قضايا بيئية كثيرة، منها-على سبيل المثال- حماية الأنواع المهددة بالانقراض، والإدارة المستدامة للموارد، واستخدام المحاصيل المعدلة وراثيًا، وتخفيف غازات الصوبة الزجاجية، والنمو السكاني، والتلوث الكيميائي، وجميعها قضايا أخلاقية بقدر ما

(44) Ibid, PP. 421- 423.

(45) Ibid, P. 420.

هي قضايا اقتصادية أو قانونية، ولذلك فمن المهم تقييم الممارسات المتعلقة بها، وما هو منها فعال ومناسب. وهذا يعني ضمناً - أن المعرفة بالأنظمة البيئية، وحالة العالم، وعلم النفس البشري، والمؤسسات الاجتماعية، ذات أهمية بالغة للتفكير الأخلاقي السليم<sup>(٤٦)</sup>.

وترتبط أخلاقيات البيئة ارتباطاً وثيقاً أيضاً بمشكلات، منها: الاحتباس الحراري<sup>(٤٧)</sup> Global Warming، وتغير المناخ، وقد تبوأ مسألة الإجراءات التي يجب أن نتخذها من أجل الحفاظ على البيئة ورفاهية الأجيال القادمة، موضع الصدارة في معظم البلدان<sup>(٤٨)</sup>، مما يدل على أن أغلب القضايا البيئية التي تواجهنا في هذه الآونة هي في أساسها قضايا أخلاقية، ومن هذا المنطلق نشأ الاهتمام بأخلاقيات البيئة. والآن بعد أن أوضحنا المقصود بها، ننقل إلى بيان الهدف منها عند وارويك فوكس.

رأى فوكس أن التطورات النظرية والعملية الرئيسة التي يعود تاريخها إلى القرن الماضي أسهمت في إحداث ثورة في الأخلاق، ووجد أن التطورات المهمة في علم الأحياء التطوري ما بعد الدارويني، وعلم البيئة Ecology، والعلوم المعرفية

(46) Ibid, P. 421.

(٤٧) الاحتباس الحراري Global Warming: مصطلح يشير إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض، وينتج عن زيادة تركيز بعض الغازات في الغلاف الجوي بسبب حرق الوقود الأحفوري منذ الثورة الصناعية. وتسمى هذه الظاهرة أيضاً "الصوبة" (بيت زجاجي لزراعة النباتات ووقايتها). وتشير تقارير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) إلى أن معظم الاحترار الذي لوحظ على مدار الخمسين عاماً الماضية يعزى إلى الأنشطة البشرية.

(CP: Norgaard, Kari Marie (2007): "Global Warming", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, P. 790).

(48) MacLean, Douglas (2009). "Environmental Ethics and Future Generations", OP. Cit, PP. 120- 121.

الحديثة، (علوم المادة، والحياة، والعقل) أدت- بشكل عام- إلى تطوير الفهم الطبيعي والتطوري للكون وكل ما يحتويه<sup>(٤٩)</sup>، ومن الناحية العملية، وجد فوكس أن الأزمة البيئية الناشئة عن الأنشطة البشرية دفعتنا إلى التساؤل عن الطرق التي نعيش بها على الأرض، وأدت هذه التحديات النظرية والعملية في فهم أساليب عيشنا، إلى تطوير مجال فلسفي ناشئ يعرف باسم (الفلسفة البيئية)<sup>(٥٠)</sup> Environmental Philosophy، أو- بشكل أكثر تحديداً- (أخلاقيات البيئة)<sup>(٥١)</sup>.

وسبب الأزمة البيئية التي نعيشها اليوم هو الممارسات التي يقوم بها الإنسان على الأرض، لكن إذا كان هذا الأمر موجوداً في الماضي، فما سبب الاهتمام به الآن حتى نشأ ما يعرف بأخلاقيات البيئة؟، ربما يعود هذا إلى تقاوم آثار التطور التكنولوجي، فضلاً عن تزايد عدد السكان الذي أدى إلى تزايد الأنشطة والممارسات التي يقوم بها الإنسان.

(49) Fox, Warwick (2001). "Ethics and the Built Environment", in: Warwick Fox (Ed.). Ethics and the Built Environment, London & New York: Routledge, P. 1.

(٥٠) الفلسفة البيئية Environmental Philosophy: هي الدراسة النقدية للمفاهيم التي تحدد العلاقات بين البشر وبيئتهم غير البشرية. وتتناول أخلاقيات البيئة، وهي من المكونات الرئيسية للفلسفة البيئية، وقد تزايد الشعور بالمسئولية الأخلاقية تجاه تدهور العلاقات البيئية في كتب عدة منها، (الربيع الصامت) Silent Spring لراشيل كارسون Rachel Carson عام ١٩٦٢م، و(تحرير الحيوان) لبيتر سينجر عام ١٩٧٥م وهذا ما أدى إلى زيادة الاهتمام مؤخراً.

(CP: Audi, Robert (1999). The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second Edition, New York: Cambridge University Press, P. 268).

(51) Fox, Warwick (2001). "Ethics and the Built Environment", in: Warwick Fox (Ed.). Ethics and the Built Environment, OP. Cit, P. 1.

وتهتم أخلاقيات البيئة بدراسة القضايا الأخلاقية الناتجة عن تفاعل الإنسان مع مفردات العالم كلها من حوله، وهذا يشمل الكائنات الحية الأخرى؛ ومن ثم فإنها تمثل الشكل الأكثر عمومية للأخلاق<sup>(52)</sup>، ويمكن الإشارة إلى أخلاقيات البيئة على أنها أخلاق عامة General Ethics، والإشارة إلى الأخلاق التقليدية المتمركزة حول الإنسان على أنها "أخلاقيات المركزية البشرية" Anthropocentric<sup>(53)</sup> أي بوصفها فرعاً من الأخلاق العامة يتعامل مع الاهتمامات الأخلاقية المتعلقة بالإنسان، فضلاً عن كونها فرعاً ثانوياً من "الأخلاق التطبيقية" Applied Ethics<sup>(54)</sup>.

ورأى فوكس أن مجال البحث الذي حدثنا عنه أخلاقيات البيئة، حتى نهاية القرن العشرين لم يكتمل؛ والسبب أننا حينما ننظر إلى العالم من حولنا لا نرى فقط الأشخاص، والحيوانات، والأشجار، والنباتات، والسحب والأمطار، وما إلى ذلك، بل نرى أيضاً المباني، والطرق، والسيارات، وما إلى ذلك، أي إن العالم من حولنا (بيئتنا) لا يتكون من بيئة طبيعية وحسب، لكن من بيئة اصطناعية أو

(52) Fox, Warwick (2001). "Ethics and the Built Environment", in: Warwick Fox (Ed.). Ethics and the Built Environment, OP. Cit, P. 1.

(53) مفهوم المركزية البشرية Anthropocentrism أو مركزية الإنسان، محل نقاش كبير في الأخلاقيات والفلسفة البيئية على مدى العقود القليلة الماضية، ويشير إلى أن الاهتمامات البشرية تفوق احتياجات الأنواع الأخرى، وفي معارضة مثل هذه المواقف المتمركزة حول الإنسان، يرى علماء البيئة الأوائل - مثل: جون موير John Muir، وألدو ليوبولد Aldo Leopold - أن الطبيعة لها قيمة جوهرية، وأشاروا بدلاً من ذلك إلى أن التنوع البيولوجي الهائل للنباتات والحيوانات ينبغي أن يكون على قدم المساواة مع الجنس البشري.

(CP: Kahn, Richard (2007): "Anthropocentrism", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, P. 51)

(54) Fox, Warwick (2001). "Ethics and the Built Environment", OP. Cit, PP. 1- 2.

مبنية أيضًا. ويبدو أن كثيرين منا في الآونة الأخيرة أوثق اتصالًا في حياته اليومية بالبيئات التي شيدها الإنسان منه بالبيئات الطبيعية ذاتية التنظيم. ومع ذلك، يتضح من بحث الاتجاهات الرئيسة لأخلاقيات البيئة، أن هذا المجال في البحث كان مهتمًا بشكل كبير بالبيئة الطبيعية أو بكثير من جوانبها، مثل: الأفراد، والكائنات الحية الأخرى، والسلامة البيئية، ولم نجد اهتمامًا مماثلًا بالبيئة المبنية أو المشيدة عن قصد، التي يعرفها فوكس بالبيئة التي شيدها الإنسان<sup>(55)</sup>.

وفقًا لهذا تتضح أهمية وارويك فوكس، وتركيزه على جانب مهم من أخلاقيات البيئة، هو جانب البيئة التي شيدها الإنسان يعني المباني والمنشآت المختلفة، ذلك الجانب الذي أغفله الفلاسفة إلى حد كبير، لكن نظرًا لأهمية هذا الجانب وتأثيره في جماليات البيئة، حرص فوكس على أن يفصل القول فيه.

### **ثالثاً- مفهوم الأخلاق العامة، وأهميته في الحياة اليومية:**

بعد أن أوضحنا فلسفة البيئة عند وارويك فوكس، والمقصود بأخلاقياتها، وتفسيره لها بوصفها مصطلحًا واسعًا يشمل العديد من الاهتمامات الأخلاقية، من المهم هنا بيان مفهومه عن الأخلاق العامة، وكيف يرى أخلاقيات البيئة من الأخلاق العامة.

يتساءل فوكس: "ما الأخلاق؟"، فما الذي يعنيه بهذا السؤال، وما يفترض أن يعنيه أي شخص يسأله؟، يصوغ الفلاسفة هذا السؤال بشكل أكثر دقة بـ "ما الأخلاق المعيارية؟"، وهنا يلاحظ فوكس أن مصطلحي الأخلاق Ethics والفلسفة الأخلاقية Moral Philosophy يستخدمان على نحو متبادل في المناقشات الفلسفية، لكن لماذا نجد مصطلحين للشيء نفسه؟ تفسير ذلك أن

(55) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 9.



الفلسفة الغربية مستمدة من فلسفة اليونان القديمة التي كان استمرارها وتطورها اللاتيني عبر روما والعالم المتأثر بالرومان؛ ولذلك فإن كثيراً من المصطلحات الفلسفية مستمد من جذور يونانية أو لاتينية، وهذه هي الحال هنا؛ فمصطلح Ethics مشتق من اليونانية، في حين أن مصطلح Moral مشتق من اللاتينية، لكنهما يشيران إلى شيء واحد<sup>(٥٦)</sup>، ويميل فوكس إلى استخدام مصطلح Ethics. إلى تقسيم الفلاسفة دراسة الأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية إلى الأخلاق المعيارية Normative Ethics، وما وراء الأخلاق Meta Ethics، والأخلاق التطبيقية أو العملية. والأخلاق المعيارية هي الأساس الفلسفي للأخلاق، وتشير إلى دراسة الأهداف أو المعايير أو القواعد التي يجب أن يتوافق معها سلوكنا أو يجسدها. ويشار -عموماً- إلى الأخلاق المعيارية باسم أخلاقيات الفضيلة، هي تهتم بأنواع التصرفات والميول والصفات الشخصية التي على الأفراد أن يسعوا إلى تنميتها، وعلم الأخلاق Deontology (من اليونانية deon، الواجب Duty)، يهتم بالمبادئ الأخلاقية التي على الأفراد أن يعدوا أنفسهم ملزمين بالعمل بمقتضاها، والأخلاق التبعية التي تهتم بالنتائج التي يجب أن يسعى الفاعلون الأخلاقيون إلى تعزيزها. والنماذج الكلاسيكية لهذه المناهج الثلاثة، هي على التوالي: أرسطو في مفهومه عن أخلاقيات الفضيلة، وكانط في صياغته للأخلاق الواجبة، وكذلك تصور بنتام وميل للنفعية<sup>(٥٧)</sup>.

(56) Fox, Warwick (2009). "Ethics, Architecture, Responsive, Cohesion, and the Transition to a more Habitable Future", in: Ethics and the Built Environment, Conference, Nottingham University, 9- 11 September, P. 1.

(57) Fox, Warwick (2009). "Ethics, Architecture, Responsive, Cohesion, and the Transition to a more Habitable Future", OP. Cit, PP. 1- 2.

ويشير مصطلح Deontological Ethics إلى النظريات الأخلاقية التي تؤكد أن صحة الفعل أخلاقياً أو خطأه يعتمد على صفاته الجوهرية، لا على عواقبه كما في الأخلاق التبعية. ويوضح علم الأخلاق أن بعض الأفعال المذمومة أخلاقياً في حد ذاتها- كالكذب، وخُلف الوعد، ومعاقبة القتلى، وغير ذلك- غالباً ما نجد تعبيراً عنها في شعارات مثل: "الواجب من أجل الواجب" وغالباً ما تُصاغ النظريات الأخلاقية بطريقة تجعل صحة الفعل تتلخص في توافقه مع قاعدةٍ ما أو أمر أخلاقي، مثل: "لا تشهد زوراً" وأهم مناصريّ هذا الاتجاه هو ايمانويل كانط<sup>(58)</sup>.

بعد أن أوضحنا مناقشة فوكس لماهية الأخلاق وما تتضمنه من صيغة معيارية، ننتقل إلى بيان المقصود بالأخلاق العامة، وهل يطلق فوكس هذا المفهوم على اهتمامه بأخلاقيات البيئة؟

في هذا الصدد، يتساءل فوكس: هل يشير مصطلح الأخلاق العامة فقط إلى شكل من أشكال الأخلاق، يشمل مجموعة واسعة من الاهتمامات أو المحاور التي ضمت الآن إلى المناقشة الأخلاقية؟، وهنا يوضح أفكاراً عدة هي: طرق رعاية الحيوان، ومقاربات السلامة البيئية، وغير ذلك من الأفكار التي يسميها -بشكل عام- أخلاقيات البيئة، وبذلك لدينا نمطان، هما، الأخلاق بين الأفراد، وأخلاقيات البيئة، لكن من المؤكد أن الأخلاق بين الأفراد ترتبط بأخلاقيات البيئة<sup>(59)</sup>.

(58) Wolff, Anita (Ed.). (2006). Britannica Concise Encyclopedia, Chicago, London, New Delhi, Paris, Seoul, Taipei, Tokyo, PP. 533-534.

(59) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 8- 9.

وصاغ فوكس مصطلح "الأخلاق العامة" General Ethics، قائلاً إنه يشير إلى نهج واحد متكامل للأخلاقيات يشمل مجالات عدة، ومنها: الأخلاق بين الأفراد، وأخلاقيات البيئة الطبيعية، وأخلاقيات البيئة التي يشيدها الإنسان؛ ومن ثم فإن الأخلاق العامة تمثل "نظرية لكل شيء" في المجال الأخلاقي. وفي هذا الصدد، نجده يعرض ما لا يقل عن ثماني عشرة مشكلة تواجه أية محاولة لصياغة كيان عام للأخلاق العامة، تعرف بالمشكلات الأخلاقية، وأي مهتم بالقضايا البيئية والمجتمعية يجب أن يكون قادراً على معالجتها، ونذكر منها: الأخلاق بين الأفراد، وأخلاقيات الرفق بالحيوان، وأخلاقيات سلامة النظام البيئي، وأخلاقيات البيئة التي يشيدها الإنسان، ونجد ضاللتنا في كلام فوكس عن هذه المشكلات، في إطار "نظريته عن الأخلاق العامة"<sup>(٦٠)</sup>، في كتابه الذي يحمل هذا الاسم، الذي قسمه إلى أحد عشر فصلاً في أربعة أبواب، يعرض فيها ثماني عشرة مشكلة، يرى وجوب حلها، ويحاول فوكس صياغة نظرية موحدة كبرى للطبيعة، باستخدام مستوى تحليلي عام عميق، يحاول به الانعتاق من المركزية البشرية، ويؤكد على مفهوم التماسك المستجيب، وهو نوع من التماسك يقع بين طرفين أو أكثر، ومختلف عن "التماسك الثابت" Fixed Cohesion (الذي فيه تتماسك العناصر معاً بطرق سطحية أو غير مستجيبة للسياق) من ناحية، وعن التفكك من ناحية أخرى (حين تفشل العناصر في التماسك)<sup>(٦١)</sup>.

(60) Fox, Warwick (2007). "Human Relationships, Nature, and the Built Environment: Problems that any General Ethics Must be able to Address", in: Handbook of Environment and Society, Pretty- Ch07, P. 107.

(61) Stephens, Piers H. G. (2008). "Book Review- Fox, W (2006). A Theory of General Ethics: Human Relationships, Nature, and the Built Environment. Cambridge, MA: MIT Press", Published by: Sage Publications, Organization & Environment, Vol. 21, No. 4, December, P. 488.

والسؤال هنا: هل هناك علاقة بين المشكلات التي ذكرها فوكس في إطار نظريته عن الأخلاق العامة؟، بل ما تلك المشكلات أصلاً؟

من المشكلات التي تعالجها الأخلاق العامة، السؤال عن التزاماتنا تجاه الآخرين، وهو أحد الأسئلة الرئيسية المتعلقة بالأخلاق بين الأفراد، وهنا يتساءل فوكس: هل أنا مجبر على عدم إيذاء الآخرين، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟، أم أن التزاماتنا أكثر من ذلك؟، على سبيل المثال: هل يكون الشخص مضطراً إلى تقديم ما يمكن أن نطلق عليه اسم (مساعدة الإنقاذ) للآخرين، على الرغم من أنه قد لا يكون مسئولاً بأي حال من الأحوال عن الخطر أو الأذى الذي أصابهم؟ وهل يكون مضطراً للذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك بأن يقدم مساعدة مستمرة للآخرين بدلاً من أشكال محدودة منها؟، ومتى تبدأ واجبات المرء تجاه الآخرين ومتى تنتهي؟ وهل من المفترض أن يلتزم بهذا مع الناس جميعاً بالقدر نفسه؟، أي: هل المرء مدين للغرباء بالقدر نفسه من الاهتمام الذي عليه أن يبديه لأقرب الناس إليه؟ على سبيل المثال: هل المرء مجبر - أو فنقل أكثر التزاماً - على تخفيف معاناة الآخرين والتبرع بإغاثتهم من المجاعة أو الفاقة كما هو ملزم بالإففاق على تعليم أطفاله، أو اصطحاب عائلته إلى عطلة للترفيه؟، في هذا الصدد يستدل فوكس برأي الفيلسوف النفعي الأكثر تأثيراً بيتر سينجر (فيلسوف أخلاق أسترالي، ولد عام ١٩٤٦م ومازال حياً)، في ورقة بحثية له، طُبعت طبعات عدة، أولها عام ١٩٧٢م بعنوان (المجاعة والثراء والأخلاق)، هو أننا ملزمون بذلك؛ لأنه إذا كنا نستطيع منع حدوث شيء سيء دون التضحية بشيء له قيمة مماثلة، فعلينا أخلاقياً أن نفعل ذلك؛ ومن ثم فنحن -من حيث المبدأ- ملزمون بالقدر نفسه بمساعدة الغرباء كما نساعد الأقربين<sup>(٦٢)</sup>.

(62) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 19-20.

وهنا يتفق وارويك فوكس مع بيتر سينجر بصدد الشعور بالآلام الآخرين ومحاولة مساعدتهم، وأنا أتفق معهم؛ لأنه وفقاً لهذا ستسود روح التعاون والإخاء بين الأفراد، وستختفي مشاعر الأنانية والجشع؛ فضلاً عن أننا حينما نشعر بحاجة الغرباء ونسعى في قضائها- كما نهتم برعايتهم إن كانوا من أقاربنا- فإن هذا سيجعل منا جميعاً أمة واحدة متماسكة يسودها الشعور بالحب، والتسامح، والسلام.

أما عن المشكلات المتعلقة بالأفراد من الناحية الأخلاقية، فتمثل أولها في: ما الذي يجعل للإنسان قيمة؟ والمشكلة الثانية هي الإجهاض Abortion، والمشكلة الثالثة هي القتل الرحيم Euthanasia Problem. والإجابة عن سؤال: لماذا الإنسان مهم؟ ذات أهمية في التعامل مع هاتين المشكلتين اللتين تتعلقان ببداية حياة الإنسان ونهايته على التوالي. وفي هذا الصدد يذهب فوكس إلى أنه بغض النظر عن نوعية الحياة التي يمكن أن يعيشها الجنين، أو الحياة التي يعيشها المصاب بمرض عضال، فمن الواضح أن لدينا إجابة مباشرة عن كل من هاتين المشكلتين، هي تحديداً المعارضة الشديدة لكل من الإجهاض والقتل الرحيم، مع أن هناك من يخالف في هذا<sup>(63)</sup>.

وفيما يتعلق بمشكلة القتل الرحيم، يرى فوكس أنه وفقاً لنظرية التماسك Cohesion، نحن ملزمون بعدم التسبب في ألم للآخرين أو معاناتهم أو عدم الإسهام في إطالة أمد ألمهم ومعاناتهم، وعدم التسبب في إنهاء حياة الشخص دون رغبته. وفقاً لهذا يجوز- وبدون ألم- التسبب في الموت البيولوجي، حين

(63) Fox, Warwick (2007). "Human Relationships, Nature, and the Built Environment: Problems that any General Ethics Must be able to Address", in: Handbook of Environment and Society, OP. Cit, PP. 107- 108.

نستوثق من أن صاحب الشأن مصمم تصميمًا لا رجعة فيه على الموت، ومجبر فعليًا على الاستمرار في العيش. وهذا يحدث في حالات المرض المزمن المتفقم العضال. وهذا بدوره يعني أن الأطباء المتخصصين هم فقط من بإمكانهم إصدار حكم مستتير بشأن تشخيص الحالة<sup>(٦٤)</sup>، وهنا نتساءل: ما الذي يقصده فوكس بنظرية التماسك؟

يمكن تحديد ثلاث طرق رئيسة يتم من خلالها تنظيم الأشياء، ومن ثم تكون منظمة أو غير منظمة، وهذا هو التمييز الرئيس الذي نقوم به طوال الوقت. وفي إطار فئة التنظيم- الذي يشير إليه فوكس بالتماسك Cohesion- يمكننا أن ندرج تمييزًا آخر؛ إذ تميل بعض الأشياء تلقائيًا إلى التماسك بطريقة نمطية. بينما تميل أشياء أخرى إلى التماسك بفضل الاستجابة المتبادلة للعناصر المكونة لها. ويعد النظام الحيّ Living System مثالًا جيدًا على هذا النوع من الكيان التماسك سريع الاستجابة<sup>(٦٥)</sup>، وهذا ينتج ثلاث طرق يمكن من خلالها تنظيم الأشياء: يمكن تنظيمها بطريقة ثابتة، ويمكن تنظيمها بطريقة تجعلها متماسكة بفضل الترابط المتبادل (أو الاستجابة المتبادلة) بين العناصر المكونة لها، ويمكن أن تكون غير منظمة. ويشير فوكس إلى هذه الفئات الثلاث على النحو الآتي: التماسك الثابت Fixed Cohesion، والتماسك المستجيب Responsive Cohesion، والتفكك Discohesion. ومهما كان مجال الاهتمام، فإن أفضل الأمثلة هي تلك التي تمثل مبدأ التماسك المستجيب<sup>(٦٦)</sup>؛ إذ تعد نظرية التماسك المستجيب نهجًا لأخلاقيات البيئة.

(64) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 239.

(65) Fox, Warwick (2007). Responsive Cohesion, Resurgence, No. 241, March / April, P. 22.

(66) Ibid, P. 22.

ويمكن القول بأن التماسك المستجيب هو الذي يحقق الترابط بين جوانب الكون؛ لأن التأثير فيه متبادل، ويتمثل في فعل ورد فعل.

وفقاً لذلك يتساءل فوكس: ما الشكل البيئي الأفضل للمجتمع؟، ويجد أن الأسئلة المتعلقة بالتزاماتنا الشخصية تجاه الآخرين تتضمن بعداً سياسياً. فعلى سبيل المثال، نتساءل: إلى أي مدى يكون الفرد مديناً بمساعدة الغرباء الذين يعانون من المجاعة أو الاضطهاد في الحرب؟، وإلى أي مدى تكون الدولة لديها التزامات معينة في هذه السياقات، بحيث تبدأ التزاماتنا الشخصية فيما يتعلق بالمشكلات الموجودة في الواقع على مستوى التزاماتنا بدعم النظام السياسي والحكومة التي عليها أن تقي بهذه الالتزامات؟، وتساءل فوكس: ما مرد قيمة البشر؟، وعن الإجهاض، والقتل الرحيم، وعن التزاماتنا تجاه الآخرين، وعن أفضل شكل هيكل للسياسة؟، وحاول أن يقدم إجابات واضحة لكل منها، فضلاً عن طائفة كبيرة من الأسئلة الأخلاقية التي تتجاوز هذه الأسئلة جداً<sup>(٦٧)</sup>.

وفي هذا الصدد، يسلط فوكس الضوء على جانب مهم للغاية، حين يطمح إلى شكل أفضل للمجتمع، تسود فيه روح التماسك والتعاون بين الشعوب، لاسيما في ظروف الحرب والمجاعة.

وننتقل إلى مشكلة أخرى من المشكلات الأخلاقية ذات الصلة بالقضايا البيئية، هي: هل سلامة النظام البيئيّ جديرة بالبحث؟ وهذا التساؤل يدخل في إطار حديث فوكس عن الأخلاق العامة. وفي هذا أوضح أن أول نموذج لأخلاقيات سلامة النظام البيئيّ صاغه عالم البيئة الأمريكيّ، المهتم بالحفاظ على

(67) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 20-21.

الموارد الطبيعية والحياة البرية، (ألدو ليوبولد) Aldo Leopold (١٨٨٧-١٩٤٨م)، في مقال مشهور له بعنوان (أخلاقيات الأرض) Land Ethic، الذي كان خاتمة مؤلفه (تقويم مقاطعة ساند أو الرمال) A Sand County Almanac، الذي نشر لأول مرة في عام ١٩٤٩م- ويعد هذا التاريخ بداية لتطور الأخلاقيات البيئية، لكنها استقلت وصارت مجالاً برأسه في منتصف سبعينيات القرن العشرين- وقد أكد ليوبولد<sup>(٦٨)</sup> أن علينا أن نوسع آفاق مفاهيمنا التقليدية لتشمل (المجتمع الحيوي) Biotic Community، عن طريق إضافة المبدأ الآتي إلى قواعدنا الأخلاقية: "يكون الشيء صحيحاً حينما يجنح إلى المحافظة على سلامة المجتمع الحيوي وجماله واستقراره. ومن الخطأ أن يجنح إلى خلاف ذلك". وقد اعترض فوكس على تسمية ليوبولد هذا المبدأ باسم (أخلاقيات الأرض)؛ لأنه يمكن تطبيقه على العلاقات البيئية في الأنهار، والبحار، والمحيطات، وغيرها؛ ذلك أنه يرى البيئات الجوية مثل البيئات الأرضية،

<sup>(٦٨)</sup> يمدنا مقال ألدو ليوبولد (أخلاقيات الأرض) بنموذج متسق ومتطور لكيفية إدراكنا للبيئة الطبيعية وحمايتها، أي الحفاظ على سلامة تلك البيئة الطبيعية وجمالها، وتعني أخلاقيات الأرض أن المهتمين بالحفاظ على البيئة يجب أن يطوروا أنفسهم، وأن يتخذوا القرارات البيئية السليمة، عن طريق فهم التاريخيين العلمي والطبيعي، إذ يتحقق فهم الجماليات الطبيعية عندما نتخذ قرارات الحفاظ على البيئة. كما أوضح ليوبولد في مقاله الجوانب المهمة للإجراءات التي يجب اتخاذها في مجال الحفاظ على البيئة؛ ولهذا السبب يعد أحد أكثر المفكرين تأثيراً في مجال الحفاظ على البيئة؛ لأنه صاغ المبدأ الأخلاقي الذي يوفر نموذجاً للحفاظ على البيئة الطبيعية.

- (CP: Sanford, M. Andrew & Uglietta, John (2010). "Aldo Leopold's Land Ethic and the Great Lakes: A Paradigm for Understanding the Morality of Aquatic Invasive Species Management", Undergraduate Research and Creative Practice, Scholar Works @ GVSU, PP. 1, 7).



لكنه قبل اقتراح ليوبولد (أخلاقيات الأرض) على أنه خطوة أولى ونموذج أولى لأخلاقيات سلامة النظام البيئي<sup>(٦٩)</sup>.

وفقاً لذلك نجد أن تسمية وارويك فوكس أكثر شمولاً من تسمية أدو ليوبولد؛ لأن مصطلح أخلاقيات البيئة يشمل العلاقات البيئية كلها سواء على الأرض أم في الأنهار والبحار، وغير ذلك، بل يشمل البيئة المشيدة (المباني) أيضاً، والحديث عن أخلاق الأفراد.

### رابعا- أخلاقيات البيئة وفن العمارة (البناء):

بعد أن أوضحنا ماهية أخلاقيات البيئة، ومفهوم الأخلاق العامة وأهميته في الحياة اليومية، ننتقل إلى بيان أخلاقيات البيئة في مجال فن العمارة. يعبر فن العمارة أو التشييد Architecture عن تقنية التصميم وفن البناء، ويؤكد على العلاقات المكانية ودعم الأنشطة التي تنفذ داخل بيئة مصممة، وترتيب العناصر الإنشائية وتناغمها البصري. وتتميز البيئة المبنية بأنها تمثل الهندسة المعمارية (فن العمارة) لثقافة معينة؛ وذلك بفضل ملامتها وتفردتها، والاستجابة للمتطلبات العملية والشعور بالمكان داخل سياقها المادي والاجتماعي المحيط بها<sup>(٧٠)</sup>.

ويتمثل الاتجاه الأكثر حداثة- الذي هو محور النقاش في الأخلاقيات المعمارية- في الحفاظ على بيئة كوكبنا، ودور الهندسة المعمارية؛ ففي الولايات المتحدة ثبت أن المباني مسؤولة عما يقرب من ٤٠% من انبعاث الكربون،

(69) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 39-40.

(70) Wolff, Anita (Ed.). (2006). Britannica Concise Encyclopedia, OP. Cit, P. 98.

بالإضافة إلى ٧٠% من استهلاك الكهرباء. وهنا تتبغى الإشارة إلى الدور الرئيس للمهندسين المعماريين في تقليل استخدام الطاقة في أثناء عملية البناء وفي أثناء الإقامة الفعلية في المنشآت<sup>(٧١)</sup>؛ ولذلك دعت بعض الكتب- مثل: كتاب وارويك فوكس عن (لأخلاق والبيئة المبنية) عام ٢٠١٢م- إلى الاهتمام باستكشاف السمات الأخلاقية للتصميم المستدام. ويمكن النظر إلى المناهج الثلاثة- وهي: الأخلاقيات المهنية Professional Ethics، وأخلاقيات علم الجمال The Ethics of aesthetics، والأخلاق المرتبطة بالإشراف البيئي Environmental Stewardship- على أنها مستمدة من المبادئ الأخلاقية التي حددها الفلاسفة، وهي مبادئ تشترك قيمها في العدالة والعمل من أجل الصالح العام<sup>(٧٢)</sup>.

ويمكن أن يُقال إن ما جعل المباني المحور الرئيس في الأزمة البيئية هو زيادة عدد السكان، الأمر الذي تطلب زيادة المباني، مما يؤثر بالسلب في البيئة من استهلاك الطاقة بشكل متزايد، وزيادة التلوث البيئي، وهذا يقتضي وضع معايير معينة يلتزم بها المهندسون المعماريون فيما يتعلق بإنشاء المباني، حتى تكون أقل تأثيراً على البيئة وأكثر ملاءمة لما يحيطها من المناظر الطبيعية.

فما تتعامل معه الأخلاقيات الفلسفية بشكل مجرد، وتتجاهله الأخلاقيات المهنية إلى حد كبير، هو مجموعة واسعة من الأسئلة الأخلاقية التي أصبح المهندسون والباحثون المعماريون يواجهونها يومياً لكن نادراً ما يناقشونها، مع أن

(71) Staub, Alexandra (2017). "Ethics in architecture: Introducing Concepts of Power and Empowerment", Conference Paper, February, P. 2.

(72) Staub, Alexandra (2017). "Ethics in architecture: Introducing Concepts of Power and Empowerment", OP. Cit, P. 2.

هذا دور المهندس المعماريّ الممارس؛ إذ تتضمن الممارسة المهنية تصميمات البناء، ووضع المباني، ومواد البناء، وعملية البناء نفسها، لكن في معظم الحالات، تظل الأبعاد الأخلاقية لمثل هذه القرارات غير مدروسة. وبالنسبة للباحث المعماريّ تظل المناقشات حول الاعتبارات الأخلاقية ضبابية<sup>(٧٣)</sup>.

ويعود الفضل إلى وارويك فوكس في إلقاء الضوء على الجوانب الأخلاقية لفن العمارة، إذ نجد أن معظم الدراسات والمناقشات ركزت على السمات الجمالية للعمارة من حيث المباني والمعابد وبيان تطورها التاريخي عبر الحضارات المختلفة، وحتى هذه الآونة المعاصرة نجد كثيرًا من الدراسات التي تناولت فن العمارة من حيث السمات الجمالية وحسب، بينما تميز عمل فوكس بالجمع بين السمات الجمالية والأخلاقية وهو ما نفتقر إليه في غيره من الدراسات.

وتعزز الأخلاقيات البيئية فهم أخلاقيات التصميم Design Ethics باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الوجود في إطار علاقة ثنائية بين المصمم والتصميم، والاهتمام بالقيم التي تتضمنها، فالهدف من أخلاقيات التصميم صياغة طرق جديدة للنظر إلى العالم؛ إذ إنها ممارسة مستدامة في حد ذاتها؛ ففي ضوء الاعتبارات الأخلاقية، يستلزم التصميم - على وجه التحديد - وجود معايير تتعلق بالعلاقات بين الأفراد والطبيعة والبيئات المبنية. وكذلك الإجراءات التي يتخذها النهج الأخلاقيّ للسلوك البشريّ مع الأشياء المصممة<sup>(٧٤)</sup>، ويتساءل وارويك فوكس في كتابه المميز (نظرية الأخلاق العامة)، عما إذا كان هذا النهج يعتمد على قيمة

(73) Ibid, P. 3.

(74) Loo, Stephen (2012). "Designing Ethics: The Good, the Bad and the Performative", in: Emma Felton & Others (Eds.). Design and Ethics "Reflections on Practice", London & New York: Routledge, P. 12.

داخلية للموضوع، أي: الخير أو الشر المتأصل فينا، دون اللجوء إلى المطالب الذاتية بالتفضيل أو الأحكام الجمالية<sup>(٧٥)</sup>.

ونستنتج مما قال أن أخلاقيات التصميم- بكل ما تحمله من قيم ومعايير للأفراد والمعماريين- لا تتفصل عن النطاق الجمالي؛ لأن التصميمات المتنوعة للمباني والمنشآت لابد أن تتضمن سمات جمالية تتمثل في تناغم هذا المبنى مع المظاهر الطبيعية من حوله، وأن يشتمل على بعض الزخارف، وأن يُطلى بألوان جميلة تناسب الغرض الذي أنشئ من أجله، ووفقاً لذلك فإن اتباع النهج الأخلاقي في التصميمات لا ينفك عن التفضيل الجمالي والأحكام الجمالية.

ذلك لأن التصميم يشمل التخطيط والبدء، أو وضع الأشياء وترتيبها، أو المناظر الطبيعية أو المباني أو ما شابه ذلك، بطريقة فنية عادة ومتقنة أو تقنية، بمعنى أنه عمل من أجل المستقبل وحل المشكلات بطريقة إبداعية. وقد يتضمن التصميم رسماً تخطيطياً بمساعدة الحاسوب، وترتيب الأشكال والمواد بشكل فني مبتكر. ويتضمن التصميم بطبيعته التفكير في المنفعة والجماليات والملاءمة والكفاءة والطابع العملي. وينضوي تحت لواء ممارسي التصميم كل من: المهندسين المعماريين، والمخططين، ومهندسي المناظر الطبيعية، وصانعي الآلات، ومصممي الديكور، والفنانين، والمهندسين، وعلماء البيئة، وعلماء الحاسوب، وغيرهم. ويستند تعريف التصميم إلى الحتمية البيئية (فكرة أن البيئة تؤثر بشكل مباشر في السلوكيات والأفعال البشرية)<sup>(٧٦)</sup>.

<sup>(75)</sup> Loo, Stephen (2012). "Designing Ethics: The Good, the Bad and the Per formative", OP. Cit, P. 12.

<sup>(76)</sup> Byrne, Jason (2007): "Design- and Ecodesign", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, PP. 451-452.

ويتضمن التصميم البيئيّ بعض التطبيقات المعاصرة، مثل تطوير تقنيات جديدة للتحويل إلى الاستدامة البيئية، حتى يمكن أن نقول أنه نوع من التقنية البيئية، والتصميم الحضريّ، ونهج خدمات الطبيعة، والاستعادة البيئية؛ فكلها أمثلة للتصميم البيئيّ؛ إذ يجمع بين الفلسفة والتقنيات الحديثة لتلبية الاحتياجات الحالية بطرق تقلل من مستويات التأثير السلبي في البيئة، مع الحفاظ على التنوع البيولوجي<sup>(٧٧)</sup>.

إلا أننا نلاحظ أن الاتجاه السائد في التفكير الأخلاقيّ الغربيّ منذ زمن الفلاسفة اليونان القدامى وحتى سبعينيات القرن العشرين، هو إخراج العالم الغير بشريّ- الحيوانات، والنباتات، والمباني، وغير ذلك- بأكمله من نطاق الاهتمام الأخلاقيّ. وأن كلمة (الآخرين) كانت تعني دائماً (أشخاصاً آخرين)، لكن منذ السبعينيات بدأت ثلة من الفلاسفة يستكشفون نطاق المسائل الأخلاقية المتعلقة بالجوانب المختلفة للعالم غير البشريّ، وشهدنا مؤخرًا تطورًا لزمرة من مناهج أخلاقيات الحيوان، والأخلاق الموجهة إلى الكائنات الحية، وأخلاقيات سلامة النظام البيئيّ. ويشار الآن لهذه الأساليب بشكل عام، باسم (أخلاقيات البيئة)، في مقابل التركيز التقليديّ السابق<sup>(٧٨)</sup>، لكن مع ذلك، ومثلما تجاهل علماء الأخلاق الإنسانية حتى بداية القرن العشرين الأهمية الأخلاقية للعالم غير البشريّ بشكل عام، فإن علماء الأخلاق البيئية كان جل اهتمامهم بأخلاقيات البيئة الطبيعية وتجاهلوا البيئة التي شيدها الإنسان، على الرغم من أهمية قضاياها، لا لمستقبلنا فقط، ولكن لمستقبل الحياة على الأرض بوجه عام أيضًا<sup>(٧٩)</sup>.

(77) Ibid, P. 452.

(78) Fox, Warwick (2009). "Ethics, Architecture, Responsive, Cohesion, and the Transition to a more Habitable Future", OP. Cit, P. 6.

(79) Ibid, PP. 6- 7.

مما سبق تأتي أهمية صنيع فوكس في الدراسات البيئية، وتركيزه على جوانب لم ينتبه إليها غيره من علماء البيئة وفلاسفتها، مثل: الاهتمام بالبيئة التي شيدها الإنسان، وأبعادها الجمالية والأخلاقية.

لقد أبدى الفيلسوف البيئي الأسترالي وارويك فوكس اهتمامًا واضحًا بإعادة صياغة المفاهيم المتطورة للإيكولوجيا العميقة في أعوام (١٩٨٤م، ١٩٨٦م، ١٩٩٠م) على التوالي، وسافر إلى بريطانيا ليستكمل جهوده بفتح آفاق جديدة في عام ٢٠٠٠م بتحرير كتاب له بعنوان (الأخلاق والبيئة المبنية)، يبحث فيه القضايا الأخلاقية المتعلقة بالإنشاءات البشرية، في المناطق الحضرية خاصة<sup>(٨٠)</sup>. وبعد سنوات من التفكير والبحث، أنتج فوكس أكثر أعماله طموحًا وإبداعًا، وهو كتاب له مبني على اهتماماته السابقة في محاولة منه لتقديم (أخلاق عامة)، وهي نظرية معيارية موحدة يمكنها أن تفسر بشكل ملائم طيفًا واسعًا من الاهتمامات الأخلاقية، وهو يؤكد أن الأخلاق العامة هي تلك التي تسمح لنا بمعالجة المشكلات الأخلاقية بشكل مباشر، وأن لها إطارًا موحدًا أو متكاملًا، يمكنه أن يفسر النقاط الجديرة بالاهتمام في مختلف الأساليب الأخلاقية، وذلك في سياق نظرية شاملة تقدم قواعد أولوية واضحة. باختصار، يحاول فوكس تقديم حل منهجي للأسئلة الرئيسة كلها المتعلقة بالأخلاق بين البشر، وأخلاقيات مركزية البيئة، بالإضافة إلى المسائل الأخلاقية المتعلقة بالبيئة المبنية، ويسعى إلى تأسيس هذا الحل في نظرية أخلاقية جديدة تمامًا صيغت من الألف إلى الياء<sup>(٨١)</sup>.

(80) Stephens, Piers H. G. (2008). "Book Review- Fox, W (2006). A Theory of General Ethics: Human Relationships, Nature, and the Built Environment. Cambridge, MA: MIT Press", OP. Cit, P. 488.

(81) Stephens, Piers H. G. (2008). "Book Review- Fox, W (2006). A Theory of General Ethics: Human Relationships, Nature, and the Built Environment. Cambridge, MA: MIT Press", OP. Cit, P. 488.

وإدراكًا لذلك، أدار وارويك فوكس المؤتمر الأول عن أخلاقيات البيئة المبنية في إنجلترا عام ١٩٩٩م، ونشر أوراق مختارة من هذا المؤتمر في كتاب (الأخلاق والبيئة المبنية) في العام التالي. وبناءً على ذلك، أوضح أننا بحاجة إلى تطوير ما يعرف بالأخلاق العامة، التي يعرفها بأنها نهج واحد متكامل للأخلاقيات، يشمل: مجالات الأخلاق بين الأفراد، وأخلاقيات البيئة الطبيعية (بدءًا من أخلاقيات الحيوان حتى أخلاقيات سلامة النظام البيئي)، وكذلك أخلاقيات البيئة المبنية. لكن هناك اختلافات داخل هذه المجالات الأخلاقية، ولذلك نحن بحاجة إلى نهج أكثر توحيدًا، إلى نهج أخلاقيّ مرن مشترك واسع النطاق، حتى نتمكن بشكل جماعيّ وفعال من التصدي للتحديات التي تواجهنا<sup>(٨٢)</sup>.

وارتبط اهتمام فوكس بالأخلاقيات البيئية بمفهومه عن التماسك أو التضامن، الذي يفيد في الربط بين مجالات البيئة المتنوعة. وفي هذا الصدد، نشير إلى اهتمامه بالبيئة المبنية، من حيث ماهيتها، وأبعادها فيما يعرف بفن العمارة. تمثل البيئة المبنية المثال النموذجي للبيئة التي يعيش فيها الإنسان؛ ذلك أن نمط البيئة التي بناها الإنسان هو الذي يرسم شكل حياتنا، فيكون جميلًا ومفعمًا بالحيوية أو قبيحًا ومحبطًا، ومع ذلك فإننا غالبًا ما تكون خياراتنا محدودة؛ إذ يمكننا أن نختار ما إذا كنا سنشتري هذا النوع من المنتج أم لا، لكن ليس لدينا عادة خيار كبير بشأن أشكال المباني، والطرق التي تهيمن بها على حياتنا وتنظمها؛ فالبيئة المبنية هي البيئة التي أنشأها الإنسان ولها التأثير الأكبر في بقية أجزاء الكوكب؛ إذ يرتبط مصير "الأجزاء الخضراء" في العالم بشكل كبير بمستقبل "الأجزاء البنية" (المباني)، أي بكيفية العيش في البيئات المبنية؛ ولذلك يناقش فوكس مسألة أفضل نهج للبيئة المبنية Built Environment<sup>(٨٣)</sup>.

(82) Fox, Warwick (2009). "Ethics, Architecture, Responsive, Cohesion, and the Transition to a more Habitable Future", OP. Cit, P. 7.

(83) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 101.

والسبب في ذلك، أن شكل المباني وطرق تصميمها وأماكن تشييدها، يؤثر بالطبع في حياة الإنسان، من حيث الصحة والارتياح النفسي أو العكس، وذلك يتوقف على السمات الجمالية لشكل المبنى، ومدى اتساقه مع المنطقة المحيطة به؛ وكذلك فإن تشييد المساكن بالقرب من المصانع، لا يجوز من حيث السلامة البيئية؛ لما يحدثه من أضرار بصحة الإنسان.

وعلى الرغم من التأثير الهائل للهندسة المعمارية (فن العمارة) بشكل عام، والبيئة المبنية على وجه التحديد في الأفراد والكوكب، فإن المحاولات الجادة لمعالجة القضايا الأخلاقية المرتبطة بفن العمارة والبيئة المبنية بشكل صريح قليلة وموجزة جدًا حتى الأونة المعاصرة، وسواء أخذنا في الحسبان مقاربات هذا الموضوع من الجانب الفلسفي أم من الجانب التصميمي والمعماري، فإن دراسة أخلاقيات فن العمارة- أو بشكل عام أخلاقيات البيئة المبنية، أو أخلاقيات العالم الذي شيده الإنسان، أو أخلاقيات التصميم- لا تزال في مهدها. والسؤال: لماذا نقول إن هذا المجال المهم من أخلاقيات فن العمارة (البناء) مهمل للغاية؟<sup>(84)</sup>.

يسوق فوكس أسبابًا محتملة عدة، منها: أولاً- يمكننا أن نشير إلى ملاحظة توماس فيشر Thomas Fisher (مهندس معماري ألماني، ولد عام 1953م ومازال حيًا) أنّ فن العمارة لطالما كان ينظر إليه على أنه فرع من علم الجمال لا الأخلاق، فضلًا عن الاعتقاد في أن الأخلاق تنطبق على المهندسين المعماريين لا على فن العمارة، أي على تصرفات المهنيين لا على سمات المباني نفسها. (ويذكر فيشر أن مهنتا مع ذلك لم تهتم بشكل كافٍ بالعلاقة بين المباني

(84) Fox, Warwick (2009). "Architecture Ethics", in: Jan Kyrre Berg Olsen & Stig Andur Pedersen & Vincent F. Hendricks (Eds.). A Companion to the Philosophy of Technology, Oxford: Blackwell Publishing Ltd, P. 387.



والأخلاق، وهذا ما أوقعنا في مشكلة)؛ ولذلك دعا فيشر إلى مناقشة في الأخلاق داخل مجال الهندسة المعمارية. ثانيًا - بقدر ما يفكر المهندسون المعماريون في القضايا الأخلاقية في عملهم، فإنهم يرونها تتلخص في اتباع "الفطرة السليمة أو الامتثال أو على الأقل عدم الوقوع في الخطأ فيما يتعلق بقواعد للسلوك المهنيّ كتلك التي وضعها المعهد الأمريكي للمهندسين المعماريين<sup>(٨٥)</sup> (AIA)، أو المعهد

<sup>(٨٥)</sup> يلتزم أعضاء المعهد الأمريكي للمهندسين المعماريين بأعلى معايير الدقة والنزاهة والكفاءة، وتحدد وثيقة الأخلاق والسلوك المهنيّ مبادئ توجيهية للأعضاء عليهم الالتزام بها. ويتم ترتيب هذه الوثيقة في ظل ثلاثة تصنيفات، هي: القوانين، والمعايير الأخلاقية، وقواعد السلوك. والقوانين مبادئ عامة للسلوك، أما المعايير الأخلاقية فهي أهداف أكثر تحديدًا يجب أن يجعلها الأعضاء نصب أعينهم عند الأداء والسلوك المهنيّ، وأخيرًا قواعد السلوك إلزامية، بحيث يكون انتهاك القاعدة سببًا في إجراءات تأديبية من قبل المعهد. وتطبق قواعد السلوك أحيانًا أكثر من المعيار الأخلاقيّ. وهذه القواعد على النحو الآتي: القاعدة الأولى خاصة بالالتزامات العامة: على الأعضاء الحفاظ على معرفتهم بفن العمارة وعلمها وتطويرها، واحترام مجموعة الإنجازات المعمارية، والتفكير في التأثير الاجتماعيّ والبيئيّ لأنشطتهم المهنية. أما القاعدة الثانية فهي الالتزامات تجاه الجمهور، وأن على الأعضاء أن يلتزموا بروح القانون الذي يحكم شؤونهم ونصه. والقاعدة الثالثة هي الالتزامات تجاه العميل، وأن على الأعضاء خدمة عملائهم بكفاءة وبطريقة مهنية، وعليهم ممارسة الحكم المجرد غير متحيز عند أداء الخدمات المهنية. والقاعدة الرابعة تخص الالتزامات تجاه المهنة، والحفاظ على نزاهتها وكرامتها. أما القاعدة الخامسة فعن الالتزامات تجاه الزملاء، وأن على الأعضاء احترام حقوق زملائهم وتقدير إسهاماتهم. أما القاعدة السادسة فهي عن الالتزامات تجاه البيئة، وأن على الأعضاء الاعتراف بالمسئوليات المهنية المحمولة على عواتقهم؛ لتعزيز التصميم والتطوير المستدامين في البيئات الطبيعية والبنائية وتنفيذ التصميم الذي يراعي الطاقة والموارد.

- (CP: AIA (2018). Code of Ethics and Professional Conduct, from the Office of General Counsel, PP. 1- 4).

الملكي للمهندسين المعماريين البريطانيين<sup>(٨٦)</sup> (RIBA). ثالثاً- ربما تتناقض مع النقطة السابقة، إذ قد ينظر المهندسون المعماريون إلى بعض القضايا الأخلاقية المعقدة- بما في ذلك الآثار الأخلاقية الواسعة لما يفعلونه- على أنها عشوائية للغاية، بحيث لا يمكن التنبؤ بوقائعها، وهذا أشبه بقولنا (دعونا لا نفتح علبة الديدان) أو أنها (ترف لا نستطيع تحمله) في سياق حياة العمل المزدحمة<sup>(٨٧)</sup>.

وأنا أوافق وارويك فوكس في الأسباب التي ساقاها لتفسير سبب تهميش أخلاقيات فن العمارة في مجال البحث والدراسة، وأن هذا يعود إلى طغيان النفعية على نظرة الشخص العادي والمهندس المعماري، فكلاهما لا يهمنه إلا ما يشبع حاجاته، دون الاهتمام بالجوانب الجمالية والأخلاقية للمباني، الأمر الذي يجعلهم يعدون أخلاقيات البيئة مجرد ترف ورفاهية، أو يقولون إنها قضايا معقدة لا سبيل إلى حلها، وهذا ما نجده في التعبير المجازي الذي استخدمه فوكس: (دعونا لا نفتح علبة الديدان) ليعبر عن عدم السعي لمناقشتها، وهذا يؤدي إلى آثار سلبية في حياتنا وفي مستقبلنا.

وفيما يتعلق بإهمال أخلاقيات فن العمارة من الجانب الفلسفي، يمكننا أن نستشهد بحقيقة أن الأخلاقيات الغربية ركزت- بشكل كبير- على التزاماتنا تجاه البشر. منذ جذور دراسة الأخلاق في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، مروراً

---

<sup>(٨٦)</sup> تحدد مدونة قواعد السلوك المهني معايير للسلوك والممارسة المهنية يضعها المعهد الملكي للمهندسين المعماريين البريطانيين (RIBA)؛ من أجل تطوير الهندسة المعمارية وتعزيز اكتساب المعرفة بالفنون والعلوم المرتبطة بها. وتطبق على جميع الأعضاء، وفقاً لثلاثة مبادئ رئيسية هي: النزاهة Integrity، والكفاءة Competence، واحترام حقوق الآخرين.

(CP: RIBA (2019). Code of Professional Conduct, 1 May, PP. 3-17).

<sup>(٨٧)</sup> Fox, Warwick (2009). "Architecture Ethics", in: Jan Kyrre Berg Olsen & Others (Eds.). A Companion to the Philosophy of Technology, OP. Cit, P. 387.

بالفترة التي حكم فيها المسيحيون - التي بدأها الإمبراطور الروماني قسطنطين في القرن الرابع الميلادي - ثم عصر النهضة وما بعده، مروراً بأشكال أخلاقية متطورة أكثر علمانية وذات أسس عقلانية ميزت المناقشات الفلسفية من القرن الثامن عشر حتى الآن<sup>(88)</sup>. وفي الواقع، لكن منذ سبعينيات القرن العشرين بدأ بعض الفلاسفة يبدون اهتماماً جاداً ومنهجياً بالمسائل الأخلاقية فيما يتعلق بالكائنات الحية الأخرى أسوة بالبشر بل بالأنظمة البيئية ككل. وتندرج هذه التطورات التي منذ السبعينيات تحت الاسم العام لأخلاقيات البيئة. ومع ذلك، كما شكل العالم غير البشري نقطة عمياء كبرى في نطاق التنظير المرتبط بأشكال الأخلاق التقليدية المتمحورة حول الإنسان، كانت البيئة المبنية نقطة عمياء كبرى في التنظير المرتبط بتطور الأخلاقيات البيئية حتى الآن. والنتيجة أن مجال الأخلاق البيئية لم يستوف بعد المضامين الكاملة لاسمه<sup>(89)</sup>.

من ثم، يمكن نستنتج أنه لا دراسة شاملة مكتملة لأخلاقيات البيئية حتى الآن، وأهمية عمل فوكس في هذا المجال؛ لتركيزه على جوانب من البيئة أهملها غيره من الفلاسفة.

ويوضح فوكس إنه إذا كانت أخلاقيات العمارة Architecture Ethics لا تزال في مهدها، فلا يمكن إنكار أن الممارسة الفعلية ومنتجات العمل المعماري تثير ما تثير من القضايا ذات الطابع الأخلاقي. وإذا كنا نفهم كلمة الأخلاق على أنها معنية بالقيم التي يجب أن نعيش بها، فمن المفيد أن نفكر في أنواع الاهتمامات الأخلاقية التي يثيرها الإنتاج المعماري، التي تندرج في ست فئات، وهي:

(88) Ibid, P. 388.

(89) Ibid, P. 388.

(١) الأشكال الرئيسية للسلوك المهني، وتشمل هذه الفئة، القضايا المتعلقة بالحياة المهنية بشكل عام، مثل: الصدق، والعدالة، والوفاء بالالتزامات، واكتساب المهارات اللازمة لأداء المهام بكفاءة، واحترام المهنة، والارتقاء بها، وما إلى ذلك.

(٢) التأثير المادي للممارسة المعمارية، أي تأثير شكل المبنى في المتصلين به اتصالاً مباشراً؛ لأنهم يعيشون أو يعملون فيه، أو يستخدمونه بطريقة أو أخرى، أو يعيشون بالقرب منه بما يكفي ليتأثروا به بشكل مباشر، ويتم التعامل مع كثير من هذه القضايا تحت عنوان (الصحة والسلامة).

(٣) التأثير النفسي للمبنى فيمن يتصلون به اتصالاً مباشراً، سواء ممن يعيشون أم من يعملون فيه، وتهتم هذه الفئة بأشياء مثل: ما إذا كان المبنى كئيباً، أو غامضاً، أو محبطاً، أو ملهماً وحيوياً. ويمكن القول إن هذه الأمور يمكن أن تؤثر في "طريقة حياة الناس" مثل تلك التي ذكرتها في الفئة السابقة.

(٤) ما يمكن أن نسميه (الملاءمة الثقافية)، فمثلاً: عند بناء مركز للهجرة أو ما أشبه على شكل "حاجز أو جدار" فإن هذا ينظر إليه على نطاق واسع على أنه مهين للغاية.

(٥) التأثير المادي للمبنى في البيئة: ومن الواضح أن هذا له أهمية كبيرة لمستقبل الكوكب، وقد أدى إلى ظهور نمط واعد من الهندسة المعمارية المستدامة أو الخضراء.

(٦) ما يمكن أن نطلق عليه اسم (ملاءمة التصميم للمبنى)، أي مدى تناسبه مع سياقاته الطبيعية والاجتماعية والبنائية، وفي هذه الحالة ينظر إليه من حيث تصميمه لا من حيث تأثيره المادي الفعلي أو حتى التفضيلات التي قد تكون لدى الناس فيما يتعلق به<sup>(٩٠)</sup>.

(90) Fox, Warwick (2009). "Architecture Ethics", in: Jan Kyrre Berg Olsen & Others (Eds.). A Companion to the Philosophy of Technology, OP. Cit, PP. 388- 389.

ويمكن أن نقول إن الفئات الثانية والثالثة والسادسة ترتبط بالسمات الجمالية للمبنى، وشكله، وتأثيره في الناس من الناحية النفسية، وكذلك مدى ملاءمة التصميم وهنا يتم التركيز على تصميم المبنى وتناغمه مع ما يحيط به. وفيما يتعلق بالفئة الخامسة- فئة التأثير المادي في البيئة- فيمكن معالجتها إما بشكل غير مباشر، عن طريق التركيز على التأثير غير المباشر الذي تحدثه البيئة المبنية في الأفراد عبر تأثيراتها المباشرة في البيئة الطبيعية الأوسع، وإما بالتركيز على التأثير المباشر عن طريق المناهج التي يتم تطويرها ضمن أخلاقيات البيئة من أخلاقيات رعاية الحيوان إلى الأخلاقيات القائمة على الحياة إلى الأخلاقيات القائمة على السلامة البيئية<sup>(91)</sup>.

أما الفئة السادسة- وهي ملاءمة التصميم-، فإذا رأى الناس مبنى طفيلياً ناشراً، فإنهم غالباً ما يهتفون بشكل عفويّ بكلمات مفادها أنه "يجب أن يكون هناك قانون ضده". علاوة على ذلك؛ إذا تبين أن المبنى له تأثير بيئيّ قليل نسبياً من الناحية المادية القابلة للقياس، فقد نجده مقبولاً بشكل عام من قبل الآخرين، إذ ربما "لا يمانع" بعض الناس في وجوده على هذه الهيئة إذا كان يوفر مزيداً من الأماكن لوقوف السيارات أكثر من غيره، ومع ذلك قد يظل البعض يعترض على هذا المبنى من حيث المبدأ على أساس أن تصميمه لا يناسب سياقه. أي يمكن وصف هذا الموقف بأنه رد فعل جماليّ، أم أنه رد فعل متصف بمعيارية؟، كما يوحي تعبير "يجب أن يكون هناك قانون ضده". فهذه مسألة رئيسة من مسائل أخلاقيات العمارة<sup>(92)</sup>.

(91) Fox, Warwick (2009). "Architecture Ethics", in: Jan Kyrre Berg Olsen & Others (Eds.). A Companion to the Philosophy of Technology, OP. Cit, PP. 389- 390.

(92) Ibid, P. 390.

وفقاً لذلك، أرى أن الفئة الخاصة بملاءمة التصميم من أهم الفئات التي يثيرها الإنتاج المعماري؛ لما لها من تأثير مادي ونفسي وبيئي فضلاً عن البعد المهني، وأن هذه الفئات كلها التي تتضمن أخلاقيات البيئة، يتمثل الهدف الرئيس منها في تحقيق السمات الجمالية في البيئة. فإذا كان تصميم المبنى غير متناسب مع عناصر البيئة المحيطة به، فإن هذا يخالف قواعد السلوك المهني للمهندس المعماري؛ فمن الناحية المادية إذ كان تصميم المبنى يحجب الهواء أو غيره فإنه يؤثر في صحة الإنسان وسلامته، وهكذا من الناحية النفسية إذ كان يحجب المناظر الطبيعية فإنه يؤدي إلى الشعور بالاكئاب؛ ولذلك جاءت هذه الفئة من حيث الترتيب في النهاية، لأنها تعد السبب الرئيس للعوامل السابقة.

ولهذا السبب، وإذا اتفقنا على أن القيم التي يجب أن نعيش بها، والأخلاقيات التي يجب أن نتبناها، تقتضي أن نعترض على هذا النوع من البناء غير الملائم، بغض النظر عن مزاياه المادية للآخرين، فهذا يعني أن مجال أخلاقيات العمارة يتعامل بالفعل مع مسائل تختلف عن الأساليب التقليدية المتمركزة حول الإنسان في الأخلاق أو الأساليب الأحدث التي يتم تطويرها فيما يتعلق بأخلاقيات البيئة الطبيعية؛ لأن التأكيد على أننا مهتمون بالقيم التي نعيش وفقاً لها يدل على أننا نتعامل مع اهتمامات هي في الأساس أخلاقية. وهذا يعني- بعبارة أخرى- أن أخلاقيات العمارة يجب عدها مجالاً للبحث في ذاتها. وفي معالجة هذه القضية المهمة من الناحية المعمارية، ألا وهي "ملاءمة التصميم" Design Fit، يضطر علماء الأخلاق إلى تطوير مناهج جديدة ليس فقط لأخلاقيات العمارة بل للأخلاقيات بشكل عام<sup>(93)</sup>.

(93) Fox, Warwick (2009). "Architecture Ethics", in: Jan Kyrre Berg Olsen & Others (Eds.). A Companion to the Philosophy of Technology, OP. Cit, P. 390.

وبهذا يؤكد فوكس ضرورة تخلي الإنسان عن نزعته الأنانية، وأن يضع سلامة البيئة وسماتها الجمالية في المقام الأول، مما يدل على الأهمية الاجتماعية لفلسفته.

### خامساً- جماليات البيئة في إطار النهج الأخلاقي عند وارويك فوكس:

بعد أن أوضحنا أخلاقيات البيئة بمجالاتها المتعددة، ننتقل إلى الحديث عن جانب رئيس في البحث، هو الأبعاد الجمالية لأخلاقيات البيئة، لكن قبل الحديث عن رؤية فوكس الجمالية، نشير إلى الهدف من أخلاقيات البيئة.

في البداية نتساءل: كيف يمكننا تبرير هدف الأخلاقيات البيئية؟ تمثل هذه الغاية نموذجًا جماليًا لا أخلاقيًا فقط؛ فمن المهم معرفة الهدف من الحفاظ على المباني القديمة، وجدوى هذا. وبما أن المباني ليس لديها وعي ولا ترغب في شيء يمكن أن يكون جيدًا أو سيئًا بالنسبة لها، فلا شيء يمكن أن يفيدها أو يضرها. بينما نحن الذين نحافظ على هذه المباني لجمالها، كما نحافظ عليها لما يمكن أن نتعلمه منها عن ماضيها وتراثنا. وقياسًا على ذلك، تأتي أهمية الحفاظ على البيئة الطبيعية، أولًا- لأنها جميلة ورائعة ومتسعة وتوصف بالجلال أيضًا. ثانيًا- لأنها يمكن أن تخبرنا بأشياء عن تطور الأرض والحياة التي عليها. (ومن ثم قد يكون من الأدق الحديث عن الأهمية الجمالية التاريخية بدلًا من الأهمية الجمالية وحسب)<sup>(٩٤)</sup>؛ والسبب في ذلك، أننا نهتم من منظور الأخلاقيات البيئية بالكائنات الحية الجميلة والمثيرة للإعجاب مثل: نمر الثلج Snow Leap أو السيكويا Sequoia (شجر كاليفورنيا الأحمر، أكبر أشجار العالم)، أكثر من اهتمامنا

(94) Persson, Ingmar (2009). "Environmental Ethics: An Aesthetic Approach", in: King- Tak IP, Rodopi B. V. (Eds.). Environmental Ethics "Intercultural Perspectives", Amsterdam & New York, P. 50.

بالكائنات الحية القبيحة أو المنفرة. وهذا المعنى تؤكدته التجربة؛ إذ إننا نميل إلى الاهتمام البيئي بشكل أكبر بالأنواع الجميلة الفريدة من نوعها؛ لأن جمال هذه الأنواع يختلف تمامًا عن جمال أي نوع آخر، ويمكن أن تكون هذه الأنواع مصدرًا لمعلومات مثيرة للاهتمام لا يمكن الحصول عليها من أي مكان آخر. ألا أن هذا التفسير الجمالي للاهتمام البيئي لا يشمل قتل الكائنات التي تنتمي إلى أنواع أخرى، مثل: أفراد العقّاق الأسود المنقار (بيكا بيكا) Pica Pica (طائر من فصيلة الغرابيات ينتشر في نطاق واسع من أوروبا وآسيا)؛ لأن كل فرد يسهم بقطرة من جمال العالم في الحاضر والمستقبل، وإذا كان النوع المذهل نادرًا، فإن كل عضو فيه يمثل قيمة جوهرية عليا من منظور الاهتمام البيئي، فكل واحد منها يمثل إضافة إلى جمال الطبيعة في الحاضر والمستقبل<sup>(95)</sup>.

وهذا الأمر يمثل ما يسمى عامل "الندرة والوفرة"، فنجد الأنواع النادرة من الطيور والحيوانات ذات قيمة أعلى من الأنواع التي توجد بكميات كبيرة. وهذا الأمر نجده أيضًا في علم الاقتصاد؛ فالمعادن النادرة التي توجد بكميات قليلة جدًا تكون ذات قيمة أكبر من المعادن المتوفرة بكميات كبيرة. كما أنّ التفسير الجمالي للبيئة يحافظ على التوازن بين الكائنات الحية المختلفة؛ إذ إن الاهتمام البيئي لا يقتصر على الأنواع الجميلة بل على الأنواع كلها على حد سواء؛ فهذا شرط أساسي من شروط حفظ التوازن في البيئة.

والقيمة الجمالية هي القيمة التي تمثلها البيئة لمشاهدي الجمال الطبيعي، خاصة البشر. وهنا نتساءل: لماذا نجد الطبيعة جميلة؟، نجد أنها قيمة يمكن أن يتمتع بها الكائن الحي سواء نبات أو حيوان على الرغم من أنه ليس لديه وعي،

(95) Persson, Ingmar (2009). "Environmental Ethics: An Aesthetic Approach", OP. Cit, P. 50.



ومثال ذلك، شجرة السكوييا Sequoia. ولذلك نجد أن لدينا دافع للحفاظ على البيئة الطبيعية؛ لأننا نجدها جميلة ومصدرًا غنيًا للمعلومات<sup>(٩٦)</sup>.

ولذلك نتساءل: هل يمكن الحفاظ على البيئة الطبيعية ومواردها من أجل

استخدامها والإفادة منها؟، وما موقف وارويك فوكس من هذه المسألة؟

في إطار أخلاقيات البيئة، يمكن تقسيم القيمة الاستعمالية تقسيمات عدة، منها الاستخدام أو الاستغلال الواسع للموارد، ومنها الحفاظ على الموارد وتطويرها، ويشير وارويك فوكس في هذا الصدد إلى أن الاستخدام الواسع غير المقيد، والحفاظ على الموارد وتطويرها صورتان من القيمة الاستعمالية؛ ففيهما يتم التأكيد على قيمة العالم غير البشري من الناحية الاقتصادية، ببناء السدود، أو الزراعة، أو التعدين، وغير ذلك. وعلى المنوال نفسه، وفيما يتعلق بالحفاظ على الموارد، تحفزنا القيمة الاستعمالية على حماية العالم غير البشري. وهو جدير بأن نقدره، وعلى كل حال تتحدد هذه القيمة على أساس التجربة الذاتية للإنسان، وفوكس يأبى قبول القول بأن ذلك يتأتى عن طريق وظيفة أو استخدام، ولا يرى منبع قيمة الكائنات الحية والموارد الطبيعية استخداماتها التي تندرج تحت اسم القيمة الاستعمالية Instrumental (or Use) Value<sup>(٩٧)</sup>.

والسبب في موقفه هذا، الاستغلال واسع النطاق غير المقيد يتضح فيما يأتي،

أولاً- يساوي هذا المنهج بين التقدم والنمو الاقتصادي، ويرى أن النمو الاقتصادي مدعاة للسيطرة على الموارد واستغلالها، ثانيًا- فيما يتعلق باستغلال الموارد، يعتمد هذا النهج على سمة الوفرة الزائدة، وأن هناك دائمًا المزيد، ثالثًا- يركز على

<sup>(96)</sup> Ibid, P. 51.

<sup>(97)</sup> Soden, Dennis L. & Steel, Brent S. (Eds.). (1999). Handbook of Global Environmental Policy and Administration, New York: Marcel Dekker, Inc., P. 246.

الإنسان وحده، غير ملتفت إلى العالم غير البشري إلا بقدر قيمته الاقتصادية للبشر. أي إن من سمات هذا النهج التفكير قصير المدى، وتمركزه حول البشر، دون مراعاة حتى لمصالح الأجيال القادمة منهم!<sup>(٩٨)</sup>.

وعند تذكير هؤلاء بالتأثيرات السلبية- على المدى البعيد- المترتبة على ذلك الاستغلال والتوسع المستمرين في الاستنزاف للموارد بلا قيود، يحيلونك إلى حلم التفاؤل التقني، وأن الحلول التقنية قادرة دائماً على إنقاذنا من الضرر المحتمل!! والعجيب المؤسف أن هذا النمط من التفكير كان- ولازال- شائعاً بين الناس. والغالبية العظمى من فلاسفة البيئة يرفضون ذلك التبني لنهج نفعي في التعامل مع العالم غير البشري، ويحاولون تطوير مناهج تعترف بالقيمة الجوهرية لبعض أعضاء- أو جوانب- العالم غير البشري على الأقل. ويجار علماء الأخلاق البيئيين البارزين- مثل: ج. بيرد كاليكوت وتوم ريجان- باستمرار قائلين إن "المشكلة الرئيسية في نطاق أخلاقيات البيئة، مشكلة صياغة نظرية مناسبة للقيمة الجوهرية للكائنات الطبيعية غير البشرية وللطبيعة ككل"، وهذا يتوافق مع رأي وارويك فوكس<sup>(٩٩)</sup>، الذي ما فتى يدعو إلى إيكولوجيا عبر الشخصية، ورفض المركزية البشرية، فكيف- والأمر كذلك- أن ينادي بتقدير العالم غير البشري وفقاً للقيمة الأدواتية أو النفعية؟، هذا يتناقض طبعاً مع فلسفته؛ لأن القول بأن الحيوانات والنباتات والمباني تتحدد قيمتها وفقاً لما تحققه من منفعة للإنسان، القول بذلك فيه ترسيخ للمركزية البشرية التي تنتقص من قيمة العالم غير البشري.

<sup>(98)</sup> Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology Approach to Ecophilosophy, OP. Cit, PP. 257- 258.

<sup>(99)</sup> Ibid, PP. 258- 259, 264.

وفي إطار أخلاقيات البيئة أيضًا نجد كلامًا عن القيمة الجمالية وعن تقدير شيء ما لأنه ممتع، وخاصة إذا ما تعلقنا بالحفاظ على البيئة. وقد يناضل المرء لدوافع جمالية من أجل الحفاظ على نوع ما-كالنسر مثلًا- ويرى أن العالم سينقصه كثير إذا ما فقد النسر، بالقدر نفسه والطريقة ذاتها التي سيكون بها أفقر بسبب فقدان عمل فني عظيم. وكذلك الأمر مع النمر والحمر الوحشية، التي يرى المتذوق الجمالي فيها الخطوط مهمة؛ والحفاظ عليها واجب. وهذا وراء نجاح القيمة الجمالية كحجة مقنعة في مجال أخلاقيات البيئة<sup>(100)</sup>.

وهكذا بعد أن أوضحنا هدف الأخلاقيات البيئية، الذي هو الكشف عن السمات الجمالية للبيئة، والمحافظة على الطبيعة، ننقل إلى بيان رؤية فوكس الجمالية.

يقول فوكس: "إن ثمة نوعين متميزين من البيئات، هما: (البيئة الطبيعية، والبيئة المبنية)، وهما تثيران ضروريًا عدة من الأسئلة الأخلاقية؛ ولذلك أشار فوكس إلى ضرورة تخصيص جانب من الدراسة والاهتمام للأبعاد العميقة التي تثيرها الأسئلة المتعلقة بكيفية البناء، والعيش في البيئات التي بناها الإنسان في البيئة الطبيعية؛ إذ ترتبط (الحدود الخضراء) Green bits للكوكب بالطريقة التي نبني بها ونعيش في (الحدود البنية) Brown bits أو المباني التي يصنعها الإنسان على الكوكب (الأرض)، ويستدل فوكس بمثال هو: لنفترض أننا اخترنا مبنين، وناقشنا بشأنهما ما يأتي: (١) كلاهما له التأثير البيئي العام نفسه؛ إذ لا يؤثر أي منهما في قيمة السلامة البيئية (ولنفترض أيضًا أن أيًا منهما لا يؤدي إلى إيذاء الكائنات الحية الإنسانية، أو الكائنات الحية بشكل عام). (٢) إلا أننا

(100) Soden, Dennis L. & Steel, Brent S. (Eds.) (1999). Handbook of Global Environmental Policy and Administration, OP. Cit, P. 246.

نجد أحدهما- من حيث المظهر - (قبيحًا كالخطيئة) وطفيلًا وناشزًا، ولا يتواءم مع المناظر الطبيعية المحيطة به، بينما يتلاءم الآخر ويتناغم جماليًا مع المناظر الطبيعية المحيطة به. (٣) النتيجة التي وصل إليها، هي أن الناس بشكل عام لا يمانعون في البناء القبيح إذا لبي رغباتهم بشكل كامل، بل ربما يفضلون ذلك بشكل عام؛ لأنه مهما كانت عيوبه فإنها مريحة ومفيدة لهم، كتوافر موقف سيارات أفضل، أو بها متاجر تقدم أسعارًا أرخص،... وغيرها<sup>(١٠١)</sup>.

وهذا يدل على أن الإنسان عنصر رئيس في المشكلة البيئية؛ إذ لا يهتم بالغاية الجمالية والمنظر الجمالي إذا كان هذا يحقق مصلحته الذاتية، والسبب في ذلك أنه يفكر بشكل براجماتي نفعي، أي فيما يحقق أغراضه، حتى إذا تعارضت مع جمال الطبيعة من حولنا، والمثال على ذلك: إذا وجد الإنسان نوعًا من الوقود الرخيص لسيارته فإنه يشتريه، حتى وإن أدى إلى تلوث البيئة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنانية الإنسان.

وبالتأكيد هناك أسئلة ومساءل أخلاقية يمكننا طرحها عن هذه المباني، أهمها: تساؤل فوكس: هل يجب أن يتوافق بناء المباني والمنشآت مع القيم التي يجب أن نعيش بها؟ أم أن على الناس أن يجعلوا الأولوية لتفضيلاتهم ومتطلباتهم؟، لكنه يرى أنه لا تعد الأسعار الأرخص، أو وجود وفرة من مواقف السيارات، سببًا كافيًا لقبول المباني القبيحة من حيث السياق، خاصة أنه لا سبب من حيث المبدأ لعدم إمكان تقديم هذه المزايا عن طريق مبنى مناسب لسياق الطبيعة أيضًا، وربما نشعر أنه علينا وصف أي تفضيل شخصي قد يكون لدينا للمبنى المناسب للمناظر الطبيعية على أنه "تفضيل جمالي"، لكن ماذا لو اعتقدنا أننا يجب أن

(101) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 10.

نأخذ بتعبيرنا العفوي عند رؤية المبنى غير الملائم بأنه "يجب أن يكون هناك قانون ضده" على محمل الجد؟ ماذا لو اعتقدنا أن هناك شيئاً خاطئاً من حيث المبدأ في البناء لا يتناسب مع سياق الطبيعة؟ ماذا لو اعتقدنا أنه لا ينبغي أن نعيش وفقاً لأنواع القيم التي من شأنها أن تجيز هذا النوع من المباني الذي يبدو أنه يمثل انفصلاً عن محيطه، ويكون شعورنا تجاهه الازدراء؟، في ظل هذه الظروف، لا نجد أنفسنا نتحدث عن تفضيل شخصي أو جمالي وحسب، بل بدلاً من ذلك، نعد أنفسنا معترضين اعتراضاً قائماً على الأخلاق فيما يتعلق بالبناء بطريقة قبيحة من حيث السياق<sup>(١٠٢)</sup>.

وهذا يعني أننا لا يجب أن نتغاضى عن السمات الجمالية في المباني والمنشآت؛ إذ إن تناسب شكل المبنى مع مناظر الطبيعة المحيطة به أمر أساسي؛ لتأثيره في حالتنا النفسية.

ويسلط هذا المثال الضوء على مشكلة بالغة الأهمية - بغض النظر تماماً عن آثارها البيئية - هي: وجود كثير من المشكلات الجادة ذات الأساس الأخلاقي، هي تلك المتعلقة مباشرة بالقيم التي يجب أن نعيش بها، ويجب أن نكون قادرين على سبر أغوارها فيما يتعلق بالبيئة المبنية. ومع ذلك، ليس لدينا إطار للتعامل مع هذه المشكلات بوصفها مشكلات أخلاقية، فنقول بشكل عفوي: "يجب أن يكون هناك قانون ضدها" حينما نرى أنواعاً معينة من المباني، وهي عبارة عن رد فعل صيغ بشكل معياري، ومع ذلك نتراجع بعدها، عن طريق وصف رد فعلنا بأنه "تفضيل شخصي" أو "تفضيل جمالي"؛ ولذلك رأى فوكس أننا نفعل ذلك لأننا

(102) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 10-11.

لا نعرف كيف نقول بعبارات مرجحة أخلاقياً ما نريد حقاً أن نكون قادرين على قوله<sup>(١٠٣)</sup>.

وهنا يلاحظ فوكس أن الأخلاق الغربية ركزت- بشكل كبير- على التزاماتنا تجاه الناس، وهو التنظير المرتبط بتطور أخلاقيات البيئة حتى الآن. ورأى أنه ليس كافياً لتحقيق الاستدامة في أخلاقيات البيئة المبنية Built Environment؛ إذ يجب أن تتضمن اعتبارات جمالية، مثل: عدم تناسب البناء مع محيطه، ويصبح سليماً بحكم إشباع احتياجات الإنسان وتقليل آثاره الكربونية. كما طور فوكس أخلاقياته المعمارية بما يسميه (التماسك المستجيب). وبشكل عام يمكن الاتفاق مع فوكس في أن الأخلاقيات المتعلقة بجماليات المصنوعات الفنية كانت غائبة-إلى حد كبير- في الفلسفة الغربية وإطار التصميم<sup>(١٠٤)</sup>.

وهنا يمكن أن نقول إن أخلاقيات البيئة لا تنفصل عن النطاق الجمالي لها، وذلك يتضح في تأكيده على بعض السمات الرئيسية، مثل: ملاءمة التصميم، أي تناسب المبنى مع ما يحيط به.

لكن إذا كانت نظرية التماسك المستجيب قابلة للتطبيق- من حيث المبدأ- على العالم الذي يشيده الإنسان، فيمكن أن نطرح الأسئلة الآتية: أولاً- أيستحق هذا الجانب من النظرية أن نأخذه بجدية أم إنه مجرد خيال فلسفي بعيد عن التطبيق، لا علاقة له بأنشطة أو ممارسات عملية، كتصميم الأشياء المادية مثل: المباني وتشييدها؟، وإذا كان هذا الجانب من النظرية يستحق أن نأخذه بجدية، فهل هو مجرد محاولة لتوضيح ما هو واضح وبالتالي لا يؤدي إلى أي شيء

(103) Ibid, OP. Cit, P. 12.

(104) Saito, Yuriko (2022). Aesthetics of Care "Practice in Everyday Life", London & New York: Bloomsbury Academic, P. 106.

جديد فيما يتعلق بالممارسات التي تشارك في بناء عالم شيده الإنسان؟، استعان المهندسون المعماريون الأستراليون، وأساتذة العمارة في الجامعات - أمثال: تيري وليامسون Terry Williamson (جامعة أديلايد بأستراليا)، وهيلين بينيتس Helen Bennetts - بأفكار طرحها وارويك فوكس، وأوضحوا أن أفكاره قابلة للتطبيق بشكل كبير، وتمثل تغييرًا واضحًا في الممارسات السائدة، وأحدثت فرقًا كبيرًا في الطرق التي يتبعها هؤلاء المخططون والمهندسون المعماريون والمصممون والبناءون. وفي الفصل الأخير من كتابهم "فهم العمارة المستدامة" Understanding Sustainable Architecture يقدم وليامسون، ورافورد، وبينيتس مخططًا واضحًا وموجزًا لمفهوم التماسك المستجيب، مع أمثلة تربطه بعملية التصميم، وقد ألقى فوكس الضوء على هذه النماذج؛ لأنها تدل على مدى الإفادة من الأفكار التي طورها؛ إذ إنه استخدم مصطلح التماسك المستجيب لوصف العناصر المختلفة للشيء (العمل المصمم، والمجتمع،...) أو العملية (التصميم، والبناء،... إلخ)، وما بينها من تفاعل متبادل، وتشير صفة الاستجابة إلى الطريقة التي تستجيب بها عناصر الشيء للعناصر الأخرى، مثل الاستجابة لتأثيرات عناصر البناء المتنوعة في عملية التصميم، ويشير مصطلح "التماسك" إلى الطريقة التي تتماسك بها العناصر في عملية التصميم أو الشعور بالوحدة في عملية التصميم<sup>(105)</sup>.

ويتناقض التماسك المستجيب مع هيمنة عامل، أو نمط، أو قوة واحدة، لأنه في غياب التماسك يبدو العمل فوضويًا وغير منضبط، بينما في سياق العمارة المستدامة تستجيب عناصر التصميم المتنوعة لأهداف المبنى ووسائل إنتاجه،

(105) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 350.

كما أن المهندس المعماري سيكون أكثر انفتاحًا ومرونة. وأوضح فوكس أن التمسك بمبدأ التماسك المستجيب في العمارة المستدامة يستلزم الاستجابة للسياقات البيئية والاجتماعية والبنائية. ووفقًا لهذا الترتيب من الأولويات وعلى نحو مماثل، يصف المهندس المعماري الأسترالي بول فوليروس Paul Pholeros (١٩٥٣-٢٠١٦م) العمارة بأنها تهتم بالمكان والأشخاص ومواد البناء، ولكن نجد أن موقف المركزية البشرية في كل من العمارة والفلسفة يضع السياق الاجتماعي قبل السياق البيئي؛ إذ يضع الأفراد في المقام الأول، لكنه الآن يعدّ القضايا البيئية للمكان ذات أهمية قصوى. وعلى الرغم من عدم تقديم أية إشارة إلى أي عمل منشور لفوليروس، فإنه يوضح سبب وضع الاهتمامات البيئية في المقدمة؛ إذ تتجلى الهندسة المعمارية أو فن العمارة بشكل واضح في الاهتمام بالعنصر الثالث، وهو مواد البناء أو سياق المبنى بما في ذلك التكتونيات (السمات الجيولوجية) الجمالية للمكان والشكل بالإضافة إلى مواد البناء والمناظر الطبيعية. ففي الواقع- وتقليديًا- تضع الهندسة المعمارية الاهتمام بالأشياء أولاً، أي جمع العناصر المعمارية لتعزيز أهداف الاستدامة الخاصة بالبيئة والمجتمع<sup>(١٠٦)</sup>.

مما سبق نستنتج أهمية رؤية وارويك فوكس فيما يتعلق بالعمارة، لكونها إيجابية، أفاد منها غيره من المفكرين، فقد كانت رؤيته في العمارة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنظريته عن التماسك المستجيب ومناقضة للمركزية البشرية، الأمر الذي يساعد في تحقيق التنمية البيئية، إذ أكد على السمات الجمالية للمكان فضلاً عن أشكال المباني.

(106) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 351.



والتفسير الذي يستوعب الطبيعة النشطة للعلاقة بين الأفراد والبيئة، هو التفسير الذي يوصي به فوكس المهنيين البيئيين، بما في ذلك المهندسين المعماريين، ومهندسي المناظر الطبيعية، والمخططين، والمسؤولين. فضلاً عن وجوب الاعتراف بأهمية العلاقة بين البيئات الطبيعية والمبنية، والحاجة إلى معرفة أخلاقيات البناء والبيئة المبنية<sup>(١٠٧)</sup>، والحق أن نظرية فوكس مثيرة للاهتمام؛ لأنها تطمح إلى أن تُطبق ليس فقط في المجال التقليدي للأخلاق بين الأفراد، ولا المجال الموسع لأخلاقيات البيئة- بما في ذلك أخلاقيات سلامة النظام البيئي- بل على البيئة المبنية كذلك، فهي- من ثم- نظرية ذات أبعاد وآثار جمالية بالإضافة إلى أهميتها الأخلاقية<sup>(١٠٨)</sup>.

وقد طور وارويك فوكس نظرية للأخلاق العامة تقوم على الطرق التي يمكن بها بناء الأشياء، وتسعى إلى التغلب على الانقسام بين المركزية واللامركزية البشرية؛ ولذلك أعلى من شأن التماسك المرن في المجالات الحية العضوية كافة والمنشآت. بديلاً عن التماسك الثابت الذي يصفه بأنه عقيم؛ ولذا رأى أن المناهج التي تقتصر على الاهتمام بالكائنات الحية بشكل عام، أو النظم البيئية باعتبارها أنظمة متجددة ذاتياً لن تنجح في تحقيق هدفها<sup>(١٠٩)</sup>.

(107) Thompson, Ian (2013). "Landscape and Environmental Ethics", in: Peter Howard & Ian Thompson & Emma Waterton (Eds.). The Routledge Companion to Landscape Studies, London & New York: Routledge, P. 455.

(108) Ibid, P. 457.

(109) Thompson, Ian (2013). "Landscape and Environmental Ethics", in: The Routledge Companion to Landscape Studies, OP. Cit, PP. 456-457.

## سادساً- أخلاقيات البيئة ورعاية الحيوان:

بعد أن تناولنا فلسفة وارويك فوكس البيئية، وكذلك مفهوم أخلاقيات البيئة، بما يشتمل عليه من حديث عن الأخلاق بين الأفراد، وأخلاقيات العمارة، وكذلك أبعادها الجمالية، ننقل أخيراً للحديث عن رعاية الحيوان، ونتساءل: هل يدخل الحديث عن حقوق الحيوان في إطار أخلاقيات البيئة؟، إنَّ البيئة الطبيعية تشمل الجبال، والأودية، والبحار، والأنهار، وكل ما على الأرض من النباتات، والحيوانات، والناس؛ لذا يعد البحث عن الحيوانات ووسائل المحافظة عليها، عنصراً رئيساً من عناصر البيئة.

انتهكت بعض الأبحاث في الماضي حقوق الأنواع البشرية والحيوانية، وأدى هذا إلى البحث عن إستراتيجية للحل، وتتضمن إحدى الاستراتيجيات تشكيل لجنة تعرف باسم لجنة الأخلاقيات<sup>(110)</sup> Ethics Committee، لصياغة مبادئ توجيهية، وتكون بمثابة مرجع لمزيد من أعمال البحث التي تساعد في الحد من مستوى الانتهاك<sup>(111)</sup>.

وفيما يتعلق بالمشكلات الرئيسية المتعلقة بأخلاقيات الرفق بالحيوان، يتساءل فوكس: لماذا تعد الكائنات الحية الواعية غير البشرية (الحيوانات) ذات قيمة؟،

<sup>(110)</sup> لجنة الأخلاقيات Ethics Committee: هيئة مستقلة تتألف من أعضاء يتمتعون بخبرة في كل من المجالات العلمية وغير العلمية، التي تعمل على ضمان حماية حقوق الإنسان أو الحيوان، وكذلك رفاة الخاضعين للبحث، وفقاً لستة مبادئ رئيسة هي: الاستقلالية، والعدالة، والإحسان، وعدم الإيذاء، والسرية (الثقة)، والصدق. ومن المناسب للأكاديميين والباحثين الالتزام بالقواعد واللوائح التي وضعتها اللجان الأخلاقية.

- (CP: Mehta, Pankti (2023). "Ethics Committees: Structure, Roles, and Issues", in: Journal of Korean Medical Science, June, P. 1).

<sup>(111)</sup> Ichendu, Chima (2020). "Morality and Ethics in Research", in: World Journal of Advanced Research and Reviews", P. 171.

وفي هذا الصدد نجده يشير إلى إجابة عالم الأخلاق النفعي بيتر سينجر، وكذلك فيلسوف الأخلاق الأمريكي المهتم بحقوق الحيوان "توم ريجان" Tom Regan (١٩٣٨ - ٢٠١٧م)، وذلك تحت أسماء عدة، على رأسها: (تحرير الحيوان) Animal Liberation، و(حقوق الحيوان) Animal Rights، وترتكز هذه الأساليب على الفكرة الرئيسية التي مفادها أن الكائنات الحية الواعية بشكل عام ينبغي أن تتمتع برفاهية يجب احترامها، ويتبنى سينجر النهج النفعي حين يقول إنه علينا أن نأخذ مصالح الكائنات الحية الأخرى في الحسبان، من خلال الموازنة بحيادية بين احتياجاتها واحتياجاتنا، ويتبنى ريجان النهج القائم على الحقوق، الذي يؤكد قيمة حق الكائن الحي في الحياة والحرية. وفي الإشارة إلى (تحرير الحيوان) و(حقوق الحيوان)، دون تمييز أحد هذين الاسمين عن الآخر، يجد فوكس أنه من الملائم الإشارة إليهما معاً على أنهما (رعاية أو رفاهية الحيوان)<sup>(١١٢)</sup> Animal Welfare<sup>(١١٣)</sup>.

<sup>(١١٢)</sup> رعاية- أو رفاهية- الحيوان Animal Welfare: يعبر مصطلحا "Welfare" و"well-being" عن "حالة الوجود أو الأداء الجيد"؛ إذ إن لرفاهية الحيوانات علاقة بجودة حياتها. وهذا يقتضي أن نتناول القيمة المتمثلة فيما نعهده مهماً للحيوانات حتى تتمتع بجودة حياة متميزة، ولقد ظهرت ثلاثة مناهج رئيسة للإجابة عن هذا السؤال: أولاً- التركيز على مشاعر الحيوانات؛ إذ إن الحالات العاطفية للحيوانات تشكل العناصر الرئيسية في جودة الحياة. ويؤدي هذا المستوى من الرفاهية إلى أن يشعر الحيوان بالراحة والرضا وتمتع الحياة الطبيعية، فضلاً عن التحرر بشكل واضح من الألم الشديد، والخوف، والجوع،... وغير ذلك من الحالات غير السارة. ثانياً- التركيز على الأداء البيولوجي للحيوان، ووفقاً لهذا يجب أن تكون الحيوانات مزدهرة وقادرة على النمو والتكاثر الطبيعيين، وخالية من المرض، والإصابة، وسوء التغذية، والتشوهات السلوكية والفسولوجية، ثالثاً- التأكيد على

ولعل التسمية التي صاغها فوكس للجوانب الأخلاقية لحقوق الحيوان - وهي رعاية الحيوان - أعم وأشمل من مصطلحي تحرير الحيوان، وحقوق الحيوان؛ ثم إن مصطلح الرعاية أدق.

وفيما يتعلق بموقف فوكس من حجج سينجر، وريجان، وكذلك ريتشارد رايدر (Richard Ryder) (عالم نفس بريطانيّ ومدافع عن حقوق الحيوان ولد عام ١٩٤٠م، ومازال حيًّا) ومناهجهم، يمكن ملاحظة اعتراض فوكس على أن هذه الأساليب تحدد- من حيث الجوهر - المستوى نفسه من الحالة الأخلاقية للكائنات الحية جميعًا، بما في ذلك البشر، وتراهم متساوين في أمور عدة، مثل: (مستوى الراحة أو الضيق الذي يعاني منه كائن ما)؛ ولذلك فإن التزاماتنا تجاه الكائنات الحية الواعية غير البشرية بقوة التزاماتنا تجاه البشر. لكن بالنظر إلى الجانب الآخر، رأى فوكس أن هذه الأساليب تنفي تمامًا وجود أية التزامات مباشرة تجاه الكائنات الحية غير الواعية، وبالتالي ليس هناك ما يمنع- من حيث المبدأ- من تدمير الكائنات الحية غير الواعية، مثل: النباتات، والأشجار لمجرد رغبة الإنسان في ذلك، يقول سينجر<sup>(١١٤)</sup>: "إذا كان كائن ما يعاني، فلا يمكن أن يكون هناك أي

---

الحياة الطبيعية؛ إذ يجب الاحتفاظ بالحيوانات في بيئات طبيعية ملائمة، والسماح لها باستخدام قدراتها الطبيعية وتطويرها.

- (CP: Fraser, David (1998). "Animal Welfare", in: Marc Bekoff & Carron A. Meaney (Eds.). Encyclopedia of Animal Rights and Animal Welfare, Greenwood Press, Westport, Connecticut, PP. 55-56).

<sup>(113)</sup> Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 22.

<sup>(١١٤)</sup> الدعامة الأساسية لنظرية سينجر هي المبدأ الأخلاقي المتمثل في مراعاة مصالح الكائنات الواعية بغض النظر عن اختلافاتها. ففي إطار قضية الحيوان، توجد نظريات عدة تسعى إلى تفسير سبب عدم تعرض الحيوانات للمعاناة والممارسات الضارة. وإسهامات بيتر

أي مبرر أخلاقي لتجاهل تلك المعاناة، أو عدها أقل شأنًا من معاناة أي كائن آخر، بل إن العكس صحيح أيضًا: إذا كان الكائن غير قادر على المعاناة أو التمتع، فليس هناك ما يؤخذ في الحساب". كما أشار فوكس إلى أن من المشكلات الرئيسية التي تتعلق بالحيوان مشكلة الافتراس Predation، فطرق رعاية الحيوان لا تفسر لنا بشكل كاف ما علينا من ناحية وقف المعاناة أو انتهاكات حقوق الحيوان، والافتراس البشري لها، ومن ناحية أخرى: لا تحاول التدخل لوقف معاناة أو انتهاك حقوق الحيوانات من حيث افتراس بعضها بعض<sup>(١١٥)</sup>.

وفقًا لذلك، فإن رؤية فوكس كانت أشمل من نظرتي سينجر، وريجان للأمور؛ لأنها لم تقتصر على المساواة بين الكائنات الحية الواعية المتمثلة في البشر والحيوانات، بل شملت أيضًا النباتات والبيئة المبنية.

إذ أوضح فوكس أن المشكلة التي تواجه مناهج رعاية الحيوان هي تفسيرها القضايا بطريقة ثانوية، فعلى سبيل المثال: تشير إلى أن الحيوان البري سيكون أكثر سعادة في البرية<sup>(١١٦)</sup>، وهذا يدعوهم لتفضيل هذا الوضع على حديقة

---

سينجر وتوم ريجان في هذا الموضوع متميزة؛ إذ يدافع سينجر عن مبدأ المساواة في التعامل مع الحيوانات؛ لأن لها مصالح وحاجات يجب مراعاتها. ويستخدم سينجر معيار الإحساس في التمييز بين الكائن الذي لديه رغبات وما ليست له رغبات.

- (CP: Paccagnella, Amanda Formisano (2019). Animal Welfare Versus Animal Abolitionism: A Comparison of the Theories by Peter Singer and Tom Regan and Their Influence on the Brazilian Federal Constitution, V. 20, N. 2, PP. 255, 267).

<sup>(١١٥)</sup> Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 23-24.

<sup>(١١٦)</sup> يمكن إرجاع كلمة "بري" Wild، إلى عام ٧٢٥م، وهي تعني "حيوان يعيش في الطبيعة، وغير أليف"، وبحلول عام ٤٤٠م، كانت كلمة البرية Wildness تعني حالة كونه بريًا،

الحيوانات أو المزرعة. لكن هذه الحجة يمكن دحضها بسهولة؛ فبوسعنا أن نقول إن الحيوان سوف يعيش حياة أطول وأيسر في ظل قدر معقول من التقييد بدلاً من المخاطر التي تنتظره في البيئة البرية، وفي هذا الصدد، يذكر فوكس تقييم مارك ساجوف Mark Sagoff (فيلسوف أخلاق البيئة، ١٩٤١ - ٢٠٢٣م) المتميز، وقوله إن الحيوانات تموت عادة ميتة عنيفة بسبب الافتراس، أو تموت جوعاً، أو بسبب الأمراض، والبرد، وأن معظمها لا يصل إلى مرحلة النضج، حتى إن قلة قليلة منها تموت بسبب الشيخوخة، ويواصل ساجوف حديثه- بطريقة ساخرة- قائلاً: "إنه إذا كان بإمكان الحيوانات البرية أن تفهم الظروف التي ولدت فيها، فلاشك في أنها- بعقلانية- ستفضل أن تربي في مزرعة أو حديقة، تعيش فيها عاماً أو أكثر، ولهربت من الحالة البرية؛ لأن فرصها فيها ضئيلة". وفي مثل هذه الحالات على أنصار رعاية الحيوان أن ينظروا إلى سيناريو حديقة الحيوان أو المزرعة على أنه أفضل بكثير من ترك الحيوان في قبضة الطبيعة القاسية<sup>(١١٧)</sup>.

أو غير مستأنس، وتشير إلى طريقة معينة للوجود أو طائفة من السلوكيات والصفات، ويعود تاريخ كلمتا الحياة البرية Wildlife إلى عام ١٨٧٩م وتعني "النباتات والحيوانات الأصلية في منطقة معينة". وفي منتصف الثلاثينيات والستينيات من القرن العشرين-على التوالي- ظهرت كلمتا الحياة البرية لتشير إلى فئة تضم الحيوانات والنباتات وعلى هذا النحو تشكل الحياة البرية معاً التنوع البيولوجي. وتصف هيئات حماية الموارد الطبيعية الحياة البرية بأنها حيوانات تعيش في البرية دون تدخل بشري، بينما يصف قاموس الغابات الحياة البرية بأنها مصطلح واسع يشمل الفقاريات غير المستأنسة، وخاصة الثدييات والطيور والأسماك.

- (CP: Coffman, Jennifer E. (2007): "Wildlife", in: Paul Robbins (Ed.). Encyclopedia of Environment and Society, OP. Cit, P. 1963).

<sup>(117)</sup> Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, PP. 24, 31.

وفي هذا الصدد، أتفق مع فوكس فيما يخص مشكلة الافتراض؛ إذ إنه إن تركت الحيوانات في الطبيعة بعشوائية، فلن يتسنى لمنظمات حقوق الحيوان المحافظة عليها، وأفضل الطرق لحماية تلك الحيوانات، الحفاظ عليها في أماكن مخصصة لها، ورعايتها فيها رعاية كافية.

وفيما يتعلق بمشكلة الحياة البرية والمستأنسة، نجد أن مقاربات رعاية الحيوان تشير ضمناً إلى أن الحيوانات البرية ليست أولى بالرعاية والاهتمام من الحيوانات الأليفة المستأنسة؛ إذ إن لها المعدل المتوسط نفسه من الاحساس. لكن نقطة الخلاف المحتملة تكمن في الحديث عن قيمة هذه الحيوانات بالنسبة لنا. وهنا يتساءل فوكس: هل الحيوانات الأليفة -مثل: الأغنام، والأبقار، والخنازير، والدجاج، وما إلى ذلك- ذات قيمة تعدل قيمة الحيوانات البرية بشكل عام؟ الواضح وفقاً لمناهج رعاية الحيوان، ونظرياً، ومن حيث المبدأ- هي كذلك، والعالم يحتوي على مزيج من النوعين، وإلا فلماذا لم نروض حيوانات الكوكب كلها ونستأنسها إذا كان ذلك يناسب أغراضنا؟<sup>(118)</sup>.

وهذا يعني ضمناً أن الحيوانات التي تتجول بحرية واعية، وتشارك بنشاط في الحصول على الغذاء، ليست أكثر قيمة أو استحقاقاً للاعتبار الأخلاقي من الحيوانات الموجودة في حديقة الحيوان أو المزرعة، ويستدل فوكس على ذلك بمثال، هو أن قيمة النمر إذا نظرنا إليه في حد ذاته أو "في عزلة"، هي نفسها بغض النظر عما إذا كان في البرية أم في حديقة الحيوان<sup>(119)</sup>.

(118) Ibid, PP. 27- 28.

(119) Fox, Warwick (2007). "Human Relationships, Nature, and the Built Environment: Problems that any General Ethics Must be able to Address", in: Handbook of Environment and Society, OP. Cit, P. 114.

لعله أصبح من الواضح أن أي مجال الأخلاق العامة يحتاج إلى معالجة السؤال المهم عن سبب أهمية الكائنات الحية غير البشرية؛ لأنه إذا نحننا التحيزات البشرية، فهل من المنطقي أن نخصص في المجال الأخلاقي دراسات للكائنات الحية غير البشرية كالدراسات التي عن البشر سواء بسواء؟ ومع ذلك، إلى أي مدى نرى أنه من المهم طرح أسئلة حول القيم التي يجب أن نتحلى بها؟، وكذلك الأسئلة الأخلاقية فيما يتعلق بكثير من الموجودات غير الواعية مثل: النباتات، والأشجار، والنظم البيئية، والمباني. ووفقاً لذلك فإن الأخلاقيات العامة في حاجة ماسة إلى معالجة عدد كبير من القضايا، أكثر من تلك التي تتناولها أساليب رعاية الحيوان<sup>(١٢٠)</sup>.

إذ نجد أن النهج القائم على الحياة المتعلق بالنباتات، يناقش المشكلات نفسها التي نجدها في نهج رعاية الحيوان بنفس محاور اهتمامها الفردية. وهذا يعني أن النهج القائم على الحياة يعاني تماماً من مشكلة الحياة البرية والمستأنسة؛ فالنباتات البرية والمستأنسة حية، وبالتالي تتساوى في القيمة. وكذلك مشكلة سلامة النظام البيئي والحفاظ عليه في الحدائق النباتية وحدائق الحيوان والمزارع، فعلى سبيل المثال: يمكننا وضع النباتات كلها في النظام البيئي في حديقة نباتية، والعناية بها بشكل واضح، والحصول على القدر نفسه من الحياة، وبالتالي القيمة نفسها في كلتا الحالتين<sup>(١٢١)</sup>.

(120) Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", OP. Cit, P. 23.

(121) Fox, Warwick (2007). "Human Relationships, Nature, and the Built Environment: Problems that any General Ethics Must be able to Address", in: Handbook of Environment and Society, OP. Cit, PP. 116- 117.



ومما يدل على رؤية وارويك فوكس الإيجابية التي تضمن سلامة النظام البيئي أنه لم يقصر حديثه على الحيوانات أو المباني، بل تحدث أيضًا عن العناية بالنباتات، وطبق نهجه في الحفاظ على الحيوانات ورعايتها عليها أيضًا.

### سابعاً- نتائج البحث:

حاولنا في أثناء هذا البحث أن نعالج الفروض والتساؤلات التي طرحناها في مقدمته، تلك التي دارت بصورة رئيسة حول: أخلاقيات البيئة وأبعادها الجمالية في فلسفة وارويك فوكس، وهنا في خاتمة البحث نحاول إجمال ما توصلنا إليه من نتائج، على النحو الآتي:

(١) تميز وارويك فوكس بتطويره نهجًا فلسفيًا بيئيًا شاملاً، وصاغ مصطلحًا جديدًا في مجال أخلاقيات البيئة، هو إيكولوجيا عبر الشخصية، واهتم بنقد الهيمنة البشرية على الطبيعة، وعرف بإسهاماته في القضايا البيئية، ومحاولة الوصول إلى حلول للأزمات البيئية، ويمكن القول بأنه دعا إلى وحدة الإنسان مع الطبيعة، مما يدل على وعيه البيئي العميق، كما أنه تميز بنظريته عن التماسك المستجيب التي تؤكد أهمية حماية النظم البيئية. فضلًا عن تأكيده مفهوم المساواتية لوصف الإيكولوجيا العميقة في مواجهة المركزية البشرية، وفضل وصف هذه المساواتية بمركزية الأرض بدلًا من مركزية الحياة للتعبير عن الطابع الإيكولوجي بدلًا من البيولوجي، وبذلك صحح منظور الإيكولوجيا العميقة.

- واقترح فوكس إحلال مصطلح إيكولوجيا عبر الشخصية محل الإيكولوجيا العميقة؛ لأن الاتجاه عبر الشخصي يؤدي إلى عمل أكثر فاعلية واستدامة؛ لأنه يقوم على أسس من التماسك والتضامن، ويدمج الفرد في بيئته، فضلًا عن أن هذا المصطلح ذا أساس نفسي، وأشد ارتباطًا بالتنمية البيئية، كما وضع فوكس يده

على سبب الأزمة البيئية المتمثل في فجوة المشاركة بين الأفراد والبيئة، وحاول علاج ذلك عبر مفهومه عن إيكولوجيا عبر الشخصية، وهي فكرة نفسية تقوم على توسيع نطاق الذات لاستيعاب المحيط البيئي، بما يقضي على أنانية الفرد، ويؤكد أهمية المشاركة والترابط بين الفرد وعناصر البيئة كلها. إذ إنه أشار إلى أن التنمية تنطلق من الاعتماد المتبادل، أي تصور الذات نظامًا بيئيًا موجودًا داخل نظام بيئي أكبر، هو الكون.

(٢) تساعد الدراسات البيئية في الحفاظ على الموارد الطبيعية، والكائنات الحية، وكذلك المباني والمنشآت وتتطوي على أبعاد جمالية وأخلاقية، ومن هذا المنطلق اهتم وارويك فوكس بأخلاقيات البيئة؛ من أجل إلقاء الضوء على المشكلات البيئية ومحاولة حلها؛ للحفاظ على البيئة ورفاهية الأجيال القادمة. بعد أن أدت الأزمة البيئية التي كان الإنسان سببها الرئيس، إلى البحث عن الأساليب التي نعيش بها على الأرض، وهذا الأمر دفع فوكس إلى الاهتمام بمجال أخلاقيات البيئة. والتوجه الأساسي في فلسفته (عملي)؛ ففلسفته تطبيقية، يحاول بها البحث عن حل واقعي لهذه الأزمة. وقد استطاع تحديد المبادئ الأخلاقية التي ينبغي أن ينطلق منها السلوك الإنساني في التعامل مع البيئة، فكان توجهه الأساسي أخلاقياً وجمالياً، بل يمكن وصف اتجاهه الفلسفي في هذا الصدد بالرؤية الجديدة؛ لأنه لم يقتصر في بحثه على البيئة الطبيعية ومشكلاتها الناتجة عن تأثير الإنسان. بل مال أيضاً إلى بحث جانب غفل عنه كثير من الفلاسفة، وهو البيئة المبنية، وتأثير الإنسان فيها من الناحية الجمالية. وهذه من القضايا البيئية الملحة؛ لأنها لا ترتبط بحاضرنا وحده بل بمستقبلنا أيضاً، فضلاً عن معارضته لمفهوم المركزية البشرية.

(٣) تميز فوكس برؤية تحليلية عميقة في إطار فلسفته البيئية، وأنه عبر عن أخلاقيات البيئة بمصطلح الأخلاق العامة، الذي يشير به عن نهج واحد ومتكامل للأخلاقيات، ينطبق على أخلاقيات البيئة- وضمنها البشر- والبيئة الطبيعية من الحيوانات والنباتات، وكذلك البيئة المبنية، يعني المباني والمساكن؛ ونظرًا لاتساع مصطلح أخلاقيات البيئة قد يعبر عنه بمصطلح آخر هو الأخلاق العامة؛ لأنه لم يقتصر في حديثه على الحفاظ على البيئة بل أكد أهمية السلوك الأخلاقي والتكاتف بين الأفراد، كما اتخذ من التماسك المستجيب نهجًا في أخلاقيات البيئة، وأكد على قيمة الإنسان الذي هو عنصر رئيس في البيئة. واهتم فوكس بالجوانب الأخلاقية، فناقش كثيرًا من المشكلات المتعلقة بالإنسان، مثل: الإجهاض، والقتل الرحيم، وهما من المشكلات التي كثر اللغط حولهما. ولكن فوكس تميز برؤيته الواضحة الإيجابية في هذا الصدد.

(٤) تتضح أهمية وارويك فوكس في الدراسات البيئية والجمالية من وضعه الاهتمام بالبيئة المبنية في إطار أخلاقيات البيئة، وأنه اهتم باقتراح طرق جديدة للتشييد والعيش في البيئة، وهذا الأمر من قبيل التنمية المستدامة؛ إذ إنه اهتم بوضع معايير تناسب العلاقة بين الأفراد والطبيعة والبيئات المبنية، ولم يقتصر على الاهتمام بفن العمارة والسماط الجمالية له، وملاءمة التصميمات وتناغمها المرئي؛ لأن شكل المباني- وجمالها أو قبحها- مما يشكل حياتنا، بل إنه اهتم بالجوانب الأخلاقية أيضًا فيما يعرف بأخلاقيات البناء، وهذا من الأمور التي ميزته عن غيره من فلاسفة البيئة؛ لأهمية القضايا المتعلقة بالبيئة المبنية لا لكونها تؤثر في معيشتنا وحسب، ولكن أيضًا لأنها تؤثر في مستقبل الحياة على الأرض. وهذا يرتبط بالهدف الرئيس من الأخلاقيات المعمارية المتمثل في الحفاظ على البيئة.

- إنَّ وارويك فوكس يعد من أوائل المفكرين المهتمين بمجال البيئة المبنية، والسبب في ذلك أن الأخلاق الغربية بشكل عام ركزت على قضايا الإنسان وحده، ثم ظهرت اتجاهات معاصرة في القرن العشرين للاهتمام بمجال البيئة الطبيعية بما فيها من الحيوانات والنباتات وغيرها. إلا أننا مع ذلك لم نجد تركيزاً واضحاً على مجال أخلاقيات العمارة إلا مع فوكس، الذي ألف كتاباً يبحث فيه القضايا الأخلاقية المتعلقة بالبيئة المبنية، كما نظم مؤتمراً عن أخلاقيات البيئة المبنية، وعرض بالتفصيل الاهتمامات الأخلاقية التي يتضمنها الإنتاج المعماري، الأمر الذي يوضح أهمية فلسفته المركزة على جوانب في البيئة التي أهملها غيره من الفلاسفة.

(٥) إننا نهتم في الأخلاقيات البيئية بالسمات الجمالية للأشياء، والأنواع الجميلة، والقيمة الجمالية للطبيعة؛ إذ إن الهدف الرئيس من أخلاقيات البيئة ليس أخلاقياً معيارياً وحسب بل هو جمالي أيضاً، والقيمة الجمالية تتمثل في الحفاظ على البيئة واتساق مناظرها الطبيعية، والحفاظ على أنواع الحيوانات والنباتات. وفي هذا الصدد نجد لنظرية وارويك فوكس في أخلاقيات البيئة أبعاداً وسمات جمالية فضلاً عن تطبيقاتها الأخلاقية الواسعة؛ إذ يميز بين نوعين من البيئات: البيئة الطبيعية والبيئة المبنية، وقد ربط بين النوعين نظراً لتأثير المباني والمنشآت -من حيث طريقة بنائها والعيش فيها- في البيئة الطبيعية، كما سلط الضوء على السبب الرئيس في المشكلة البيئية، وهو الجنس البشري؛ لأن الإنسان يسعى بأنانية إلى ما يشبع حاجاته دون الاهتمام بتأثير ذلك في البيئة من حوله والآخرين، ومن هذا المنطلق جاءت أهمية دراستنا للأخلاقيات البيئية وأبعادها الجمالية؛ لأن التزامنا بأخلاقيات البيئة، وبالقيم التي يجب أن نعيش بها، يساعد في تحقيق السمات الجمالية في البيئة من حولنا والحفاظ عليها، وذلك يتحقق عندما تتناسب المباني التي يشيدها

الإنسان مع المناظر الطبيعية التي تحيط به، ولذلك يجب وضع معايير جمالية تؤكد على توافق المباني الجديدة مع السياق البيئي، وفي هذه الحالة ننتجت هذه المباني بأنها جميلة.

(٦) لم يكن وارويك فوكس أول من أكد على الاهتمام بالحفاظ على الحيوان؛ فقد سبقه في هذا الصدد فلاسفة آخرون، أمثال: بيتر سينجر، وتوم ريجان، لكنه تميز عنهم برؤية جديدة في هذا المجال، وأنه صاغ نهجًا خاصًا برعاية الحيوان لا يقتصر على الحفاظ عليها- وهي الكائنات الواعية- كما هي الحال في المناهج السابقة، بل إن نهجه كان رؤية شاملة، ودعوة إلى المساواة بين الكائنات الحية الواعية وغير الواعية، كما أنه اختلف عن النهج السابق في أنه أشار إلى طرق لحماية الحيوانات البرية من أخطار الافتراس، والأمراض،... وغيرها، فضلًا عن أنه تطرق لبعض المشكلات البيئية التي لم تفسر بشكل واضح، مثل: مشكلة الحياة البرية والمستأنسة، وأوجد حلًا لمشكلة افتراس الحيوانات البرية، عن طريق تأكيده على نقلها إلى الحدائق والمحميات المخصصة للحيوانات لضمان بقائها مدة طويلة وحمايتها من خطر الانقراض؛ من أجل الحفاظ على توازن البيئة.

### ثامنًا- توصيات البحث:

- (١) محاولة الاستفادة من رؤية فوكس الأخلاقية والجمالية للبيئة في مجتمعاتنا.
- (٢) تدريس أخلاقيات البيئة في المقررات الدراسية، بهدف نشر الوعي للحفاظ على البيئة.
- (٣) ضرورة وضع معايير أخلاقية للمهندسين المعماريين فيما يتعلق بتشييد المباني من أجل الحفاظ على السمات الجمالية للبيئة تحقيقًا للتنمية المستدامة.

## المصادر والمراجع المستخدمة

### أولاً- مصادر وارويك فوكس:

- 1- Fox, Warwick (1988). Toward a Transpersonal Ecology: the Context, Influence, Meanings, and Distinctiveness of the Deep Ecology Approach to Ecophilosophy, Murdoch University: Submitted in Fulfilment of the Requirements for the Doctor of Philosophy.
- 2- Fox, Warwick (1998) "The Deep Ecology- Ecofeminism Debate and its Parallels", in: Michael E. Zimmerman & Others (Eds.). Environmental Philosophy "From Animal Rights to Radical Ecology", New Jersey: Prentice- Hall, Inc.
- 3- Fox, Warwick (2001). "Ethics and the Built Environment", in: Warwick Fox (Ed.). Ethics and the Built Environment, London & New York: Routledge.
- 4- Fox, Warwick (2006). A Theory of General Ethics "Human Relationships, Nature, and the Built Environment", London & England: The MIT Press, Cambridge & Massachusetts.
- 5- Fox, Warwick (2007). "Human Relationships, Nature, and the Built Environment: Problems that any General Ethics Must be able to Address", in: Handbook of Environment and Society, Pretty- Ch07.
- 6- Fox, Warwick (2007). Responsive Cohesion, Resurgence, No. 241, March/ April.
- 7- Fox, Warwick (2009). "Architecture Ethics", in: Jan Kyrre Berg Olsen & Stig Andur Pedersen & Vincent F.

Hendricks (Eds.). A Companion to the Philosophy of Technology, Oxford: Blackwell Publishing Ltd.

- 8- Fox, Warwick (2009). "Ethics, Architecture, Responsive, Cohesion, and the Transition to a more Habitable Future", in: Ethics and the Built Environment, Conference, Nottingham University, 9- 11 September.

### ثانياً- المراجع الأجنبية:

- 9- Friedman, Harris L. & Hartelius, Glenn (Eds.). (2013). The Wiley- Blackwell Handbook of Transpersonal Psychology, Oxford: Wiley Blackwell, John Wiley & Sons, Ltd.
- 10- Kheel, Marti (2008). Nature Ethics "An Ecofeminist Perspective", New York: Rowman & Littlefield Publishers, Inc.
- 11- Klikauer, Thomas (2012). Seven Management Moralities, Palgrave Macmillan, First Published.
- 12- Loo, Stephen (2012). "Designing Ethics: The Good, the Bad and the Per formative", in: Emma Felton & Others (Eds.). Design and Ethics "Reflections on Practice", London & New York: Routledge.
- 13- MacLean, Douglas (2009). "Environmental Ethics and Future Generations", in: Ben A. Minteer (Ed.). Nature in Common? "Environmental Ethics and the Contested Foundations of Environmental Policy", Philadelphia: Temple University Press.
- 14- Naess, Arne (1989). Ecology, Community and Life Style "Outline of Ecosophy", Translated and Revised by: David Rothenberg, New York: Cambridge University Press.

- 15- Norton, Bryan G. (1991). Toward Unity among Environmentalists, New York: Oxford University Press.
- 16- Persson, Ingmar (2009). "Environmental Ethics: An Aesthetic Approach", in: King- Tak IP, Rodopi B. V. (Eds.). Environmental Ethics "Intercultural Perspectives", Amsterdam & New York.
- 17- Plumwood, Val (2003). Feminism and the Mastery of Nature, London & New York: Routledge.
- 18- Saito, Yuriko (2022). Aesthetics of Care "Practice in Everyday Life", London & New York: Bloomsbury Academic.
- 19- Soden, Dennis L. & Steel, Brent S. (Eds.). (1999). Handbook of Global Environmental Policy and Administration, New York: Marcel Dekker, Inc.,
- 20- Thompson, Ian (2013). "Landscape and Environmental Ethics", in: Peter Howard & Ian Thompson & Emma Waterton (Eds.). The Routledge Companion to Landscape Studies, London & New York: Routledge.
- 21- Witoszek, Nina & Brennan, Andrew (Eds.) (1999). Philosophical Dialogues "Arne Naess and the Progress of Ecophilosophy, New York & Oxford: Rowman & Littlefield Publishers, Inc.

### ثالثاً- القواميس الأجنبية:

- 22- Audi, Robert (1999). The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second Edition, New York: Cambridge University Press.



#### رابعاً- الموسوعات الأجنبية:

- 23- Bekoff, Marc & Meaney, Carron A. (Eds.). (1998). Encyclopedia of Animal Rights and Animal Welfare, Greenwood Press, Westport, Connecticut.
- 24- Callicott, J. Baird & Frodeman, Robert (Eds.). (2009). Encyclopedia of Environmental Ethics and Philosophy, Vol. 1, New York & San Francisco & London: Gale Cengage Learning.
- 25- Robbins, Paul (Ed.). (2007). Encyclopedia of Environment and Society, Los Angeles & London: Sage Publications.
- 26- Taylor, Bron R. & Others (Eds.). (2005). The Encyclopedia of Religion and Nature, London & New York: Thoemmes Continuum.
- 27- Wolff, Anita (Ed.) (2006). Britannica Concise Encyclopedia, Chicago, London, New Delhi, Paris, Seoul, Taipei, Tokyo.

#### خامساً- الدوريات الأجنبية:

- 28- AIA (2018). Code of Ethics and Professional Conduct, from the Office of General Counsel.
- 29- Guzman, Veniz Maja V. (2016). The Human Element: Transpersonal Ecology, Empathy Gap, and the Environment", DLSU Innovation and Technology, De La Salle University, Manila, Philippines, November 24 & 25.
- 30- Ichendu, Chima (2020). "Morality and Ethics in Research", in: World Journal of Advanced Research and Reviews".
- 31- Mehta, Pankti (2023). "Ethics Committees: Structure, Roles, and Issues", in: Journal of Korean Medical Science, June.

- 32- Messersmith- Glavin, Paul (2011). Between Social Ecology and Deep Ecology: Gary Snyder's Ecological Philosophy, The Anarchist Library.
- 33- Paccagnella, Amanda Formisano (2019). Animal Welfare Versus Animal Abolitionism: A Comparison of the Theories by Peter Singer and Tom Regan and Their Influence on the Brazilian Federal Constitution, V. 20, N. 2.
- 34- Palmer, Clare & McShane, Katie & Sandler, Ronald (2014). "Environmental Ethics", Annual Reviews.
- 35- RIBA (2019). Code of Professional Conduct, 1 May.
- 36- Sanford, M. Andrew & Uglietta, John (2010). "Aldo Leopold's Land Ethic and the Great Lakes: A Paradigm for Understanding the Morality of Aquatic Invasive Species Management", Undergraduate Research and Creative Practice, Scholar Works @ GVSU.
- 37- Staub, Alexandra (2017). "Ethics in architecture: Introducing Concepts of Power and Empowerment", Conference Paper, February.
- 38- Stephens, Piers H. G. (2008). "Book Review- Fox, W (2006). A Theory of General Ethics: Human Relationships, Nature, and the Built Environment. Cambridge, MA: MIT Press, Published by: Sage Publications, Organization & Environment, Vol. 21, No. 4, December.
- 39- Zimmerman, Michael E. (1993). "Rethinking the Heidegger- Deep Ecology Relationship", in: Environment Ethics, January.